صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ١٢ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

العربية والاسلامية

للأستاذ علي الطنطاوي

سيقول القراء من المصريين: ما العربية وما الإسلامية، وهما شيء واحد؟ ومن قال بالعربية قال بالإسلام؛ لأن العربية لم تكن شيئاً مذكوراً لولا الإسلام. ومن قال بالإسلام قال بالعربية؛ لأن الإسلام دين، نبيه عربي، وقرآنه عربي، وقبلته في بلاد العرب. والنداء إلى التوجه إليها بلسان العرب؟!

لا يدري القراء من المصريين أن هذا حديث المجالس في الشام والأندية والمدارس، لا يمر يوم دون مناظرة فيه بين الشباب المسلمين الذين يحسبون أن من الإسلام محاربة الفكرة العربية وترك قيادها لغيرهم، والشباب القوميين الذي يظنون أنهم يستطيعون تجريد العربية من الإسلام والدعوة إليها على أنها قومية من القوميات

وكذلك كانت الحال لما كنا ندرس في مدارس العراق حين اشتدت الدعوة القومية على عهد سامي شوكت في وكالة

وزارة المعارف . واستجاب لهـا المدرسون خوفا وطمعا . ومنهم من استجاب لها عن إيمان بهـا ، ولم يبق ثابتا على إسلاميته إلا ثلاثة : عبد المنعم خـلاف ، ومظهر العظمة ، وعلى الطنطاوى ، نقلوا جميعا إلى شمال العراق ، إلى مناطق الأكراد . فاستقال الأول وعاد إلى مصر ؛ وعاد الثالث إلى الشام بعـد شهور ؛ وثبت الثانى إلى نهـاية حركة رشيد عالى الكيلانى

غير أن الفرق بيننا وبين العراق ، أن الدعوة القومية هى الغالبة على شبابه . والقوميون الملحدون قلة فى الشام . أتباع حزب ألفه على عهد الفرنسـيين أحد شباب النصارى ووجد له أتباعا من الشبان الحائرين الذين يحبون أن يتبعوا (موضـة) العصر بالانتساب إلى حزب من الأحزاب . وأكثر أهل الشام يقولون بالإسلام وبالعربية . والكلمتان على لسانى أنا وكتاباتى من أكثر من ربع قرن ، كالمترادفتين ؛ أقول الإسلام، وأريد العربية ، وأكتب العربية وأقصد الإسلام

لذلك أجهدت ذهنى ، وكـددت فـكرى ، حتى استطعت إدراك جوهر الخلاف بين الفريقين . وما ذاك عن جهل منى بحجج الطرفين وأقوالها ، فلقد حفظتها من كثرة ما سمعتها ؛ بل لغموض صورة الدعوة العربية حتى فى أذهان أصحابها . وإنهم حين يكتبون فيها ، أو يجـادلون عنها ، يأتون بشئ هو إلى الفلسفة الغامضة ، والخطابيات الفارغة ، أدنى منه إلى التعريف العلمى الواضح ؛ ولأن مورد أفكارهم ، ومنبع أقوالهم فى القومية ، ترجمة ما كتب فى القومية فى ألسن الغرب ، ولا سيما الألمانى والإيطالى

وجوهر الخلاف إنما كان على بناء الدولة . هل تـكون إسلامية ، ويكون الإسلام هو الرابطة بين أفرادها فيدخل فيها المسلمون جميعـا ويكونون أمة واحـدة . أم تـكون عربية ، وتـكون الرابطة رابطة الجنس ، فـكل عربى هو منا ولو لم يكن مسلما ، وكل أعجمى ليس منا ولو كان مسلما ؟ أي أن ثمرة الخلاف كما يقول الفقهاء ، فى العربى غير المسلم ، والمسلم غير العربى ، أيهمـا الذى يجب أن نتولاه نحن العرب المسلمين ؟

وأنا سأحاول أن أثبت فى هذا الفصل ، أنه ليس بين الإسلام والعربية تناف ولا تباين ، وأن المسلمين أمة واحدة وأنها أشد تماسكا ، وأدنى إلى الوحدة من مجموع العرب ، وأن هذا الخـلاف ليس له ثمرة ، لأن إخواننا العرب غير المسلمين ، عاشوا معنا ، وسيعيشون معنا ، ما ضقنا بهم ولا ضاقوا بنا ، وما ظلمناهم ولا شكوا من ظلمنا ، وأن الشباب المسلمين هم أحق الناس بحمل لواء العربية المسلمة ، والدفاع عنها ، والعمل على تمجيدها وفيما يلى تفصيل هذا الإجمال :

من الوجهة النظرية

إن فى (نظرية الدولة) آراء كثيرة يدرسها طـلاب كليات الحقوق . وأشهرها وأصحها ، والذى عليـه المعول فيها هو رأى رينان . ونحن نطبقه على هـذا البحث ، لا لأنا نجد لزاما علينا أن نتبع الغربيين حتما فى مذاهبهم ، ونفكر برؤوسهم ، بل مجاراة لمن يقول بذلك من الشباب وقليا لدليلهم عليهم ، وإلا فنحن نعلم أن لدينا من رأى الإسلام فى إقامة الدولة ماهو أصح من رأى رينان صحة ، وأكثر نفعا لنا ، وتحقيقـا لمصلحتنا ، وإن كان رأى رينان هذا لا يبعد كثيرا ، ولعله أخذه من رأى الإسلام الذى كان على إلمام بأحكامه

الدولة عند رينان لا تبنى على الأرض وحدها ، فرب دول معترف بها تـكون أرضها محتلة فيها أعداؤها . ولقد شاهدنا فى الحرب الأخيرة دولا كثيرة بلا أرض ، وكان فى مصر طائفة منهـا ، كل دولة فى جناح من فندق شبرد . ونشاهد الآن دولة عموم فلسطين . ولا تبنى على اللسان فإن أمامنا دولا فيها أكثر من لسان كسويسرة ، ودولا لهـا لسان واحد كانـكلترا وأمريكا ؛ ولا على الدين (من حيث هو صلة بين العبد وربه) فقـد تتعدد الأديان فى الدولة ،

وتعدد الدول فى الدين ، بل على ما سماه (الإرادة المشتركة) فكل كتلة جمع بين أفرادها تاريخ واحد وأمل واحد ، وكانت موجات تاريخها ومطامحها فى مستقبلها ، متشابهة فى نفوس أفرادها ، كانت هذه الكتلة أمة وحق لهـا أن تنشئ دولة . وشرح هذا المتن الموجز معروف مشهور

فلنبحث عن هذه الإرادة المشتركة فى الكتلة العربية وفى الكتلة الإسلامية ؟ هل للعرب إرادة مشتركة ؟ هل تتحد موجات الماضى ومطامح المستقبل فى نفوس العرب جميعا ؟ إذا قرأت أنا وعربى جبل لبنان المارونى تاريخ الغزوات الصليبية.. فهل يكون أثر هذا التاريخ فى نفسى مثل أثره فى نفسه ؟ هل يطمع مثلى إلى الوحدة ، ويشاركنى فى المثل الأعلى الذى أتمثل المستقبل عليه ؟

من الوجهة الواقعية

بل تعالوا ننظر إلى الواقع ، هل استطاعت جامعة الدول العربية بعد هذه السنين الطويلة والمحاولات الكثيرة ، أن تجد لها هذه (الإرادة المشتركة) ؟ ألم تبد هذه الإرادة فى المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى كراتشى بصورة أوضح وأظهر على رغم أنه مؤتمر وليس جامعة دول ، وأنه جديد مرتجل تعد له العدة ولم يبذل فى سبيله جهد ؟

من وجهة المصلحة

وقد مضى عهد القوميات وأصبح تاريخا يدرس فى المدارس ، وانقسم العالم اليوم إلى قسمين كبيرين مختلفين : قسم فى شرق الأرض وقسم فى غربها . وما اختلفا فى الحقيقة على عقيدة ولا مبدإ ! ما اختلفا إلا علينا نحن الأمم الضعيفة . وما استعدا إلا للحرب فى سبيلنا أيهمـا يفوز غنيمة باردة أو سخنة بنا . فهل من المصلحة أن نبقى متفرقين منقسمين أو أن نتحد ونتقارب ونقيم من أنفسنا قسما ثالثا محايدا ، لا يقاتل على غنيمة ولا يدع أحدا يجعل منه غنيمة ؟

وإذا ثبت أن المصلحة فى الاتحاد (وذلك ثابت قطعا) فهل نؤلف كتلة من سبعين مليونا مشكوكا فى اتحاد أبنائها فى الذكريات والآمال والإرادة العامة ؟ أم كتلة من أربعمئة مليون ؟

هذا ومن المفهوم المعلوم من الدين ومن العقل ومن الماضى بالضرورة أننا لا نتخلى عن هؤلاء العرب غير المسلمين ولا نعدهم غرباء عنا ، بل هم إخواننا ما أحبوا اخوتنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهذى نصوص ديننا وهذى وقائع تاريخنا ، شاهدة على دعوانا . فلا مجال لإثارة العصبيات ، والإفساد بين الإخوان ، من هذه الناحية ، فلا يطمع فى ذلك المفرقون المفسدون..

وبعد فما هى حدود الاتصال بين العربية والإسلامية ؟

من الوجهة المبدئية

أما الإسلامية فمعروفة واضحة ، وللمسلم تعريف شامل وحد منطقى ، فما هو حد العربى الذى يشمل الأفراد ويخرج الأضداد ؟

إنى لم أجد لدعاة العربية إلى اليوم هذا التعريف الجامع المانع للعربى . من هو العربى ؟ أما من عرفنا من قوميى العراق ، فإن العربى عندهم هو عربى النسب ، أى أنهم على مذهب أصحاب العنصرية (Racisme) ومقتضى ذلك أن يكون بشار مثلا شاعرا فارسيا ، وابن الرومى شاعرا يونانيا ، بل إننا لو ذهبنا هذا المذهب لكان ملك الإنكليز غير إنكليزى ، ولكان من الواجب الحجر عليه خلال الحرب الماضية لأنه من رعايا الألمان ؟

ومن منا اليوم يستطيع أن يرتفع بنسبه إلى ربيعة أو إلى مضر ، أو إلى أى فرع من فروع الشجرة العربية ، إلا أن يكون نسبا ملفقا كأكثر أنساب الأشراف الذين منحوا الشهادة بأن منهم الملك الصالح ... فاروق !

وأما من عرفنا من قوميى الشام فإن لهم أقوالا أشهرها أن العربى هو من يتكلم العربية لغة أصيلة له ،

ويعيش فى بلاد العرب، ويشارك العرب آمالهم وآلامهم .

وهذا التعريف كالنحاس الطلى بالذهب ، إن مسسته برفق كان ذهبا له وميضه ولمعانه ، ولكنك إن وضعته على المحك خرج نحاسا ! لأن من غير العرب الذين عاشوا فى بلاد العرب ، كالأرمن فى الشام والأروام فى مصر من ينشئ أولاده على الكلام بالعربية كأهل البلاد من العرب ، ثم إنه يعيش بينهم ! أما المشاركة فى الآمال والآلام فشئ خفى لا يعلمه إلا الله ، ولا تظهره إلا التجربة ، ولا يصح أن يكون مقياسا منطقيا . وإذا أردنا أن نحصى سكان بلدة ما من العرب ، فكيف نقيم الامتحان العام لمعرفة آمالهم وآلامهم وما يشاركون فيه وما يخالفون ؟

ثم إن من العرب من يتكلم فى بيته تظرفا أو تقليدا بالفرنسية ، ويقيم فى غير بلاد العرب ، وليس فى نفسه أمل لأمته ، ولا ألم عليها . لا يهتم إلا بخاصة أمره ، وجوالب لذته وراحته . فهل نعد هذا من غير العرب ؟ وماذا يكون : فرنسيا أو إنكليزيا أو ماذا ؟

فأنت ترى أن الدعوة العربية تنهار بذلك من الأساس ، إذ كيف نقيم البناء ولم نعد مادة البناء ؟

أما الإسلام فعقيدة يعبر عنها قول معين ، وعبادة وخلق ، فمن نطق بالكلمة المعبرة عن العقيدة ، وأدى فروض هذه العبادة ، وتخلق بهذه الأخلاق ، فهو واحد من المسلمين ، مهما كان لونه وجنسه ولسانه

من الوجهة الإسلامية

والإسلام لم يكتف بإسقاط الجنسية من حسابه ، بل لقد حاربها ، ومنع كل دعوة إلى عصبية جنسية أو قبلية ، وسماها دعوة الجاهلية . وجاء منذ أربعة عشر قرنا بما انتهى إليه العالم اليوم ، حين أسقط حواجز القوميات وأقام كلا من كتلتيه على عقيدة ومبدإ ولو ظاهراً ، فقسم الإسلام الناس إلى قسمين : الذين آمنوا ، والذين كفروا . ووجه الخطاب إليهم ، بهذا العنوان ؛ فكان من الذين آمنوا — وهم أفراد الدولة الإسلامية — رجل رومى هو صهيب ، ورجل حبشى هو بلال ، ورجل فارسى هو سلمان ، ثلاثة رموز للدول الكبرى يومئذ . وكان من الذين كفروا العربى القرشى الهاشمى عم محمد وأخو أبيه وابن جده أبو لهب . وكان لهؤلاء الثلاثة منزلة رفيعة فى الدولة الإسلامية ، فكان بلال وزير الدعاية يعلن مبادئ الإسلام (بالأذان) خمس مرات كل يوم . وكان سلمان معدودا على لسان النبى من أهل بيت النبوة . ونزل فى شتم أبى لهب قرآن فنحن نقرأ فى صلاتنا ذم أبى لهب

ولكن الإسلام لم يطمس الوقائع التى تجعل للعروبة مكانا ظاهرا فى دولته ، فالنبى عربى ، والعرب قومه ومنهم أصحابه الأولون الذين نشروا الدين ، وأبلغوه أهل المشرق والمغرب . والقرآن كتاب عربى ، والحج إلى بلد عربى ، فكل مسلم مضطر بذلك إلى حب العرب وتقديرهم ، وتعلم لسانهم ، وزيارة أرضهم

ولولا الإسلام ما انتشرت لغة العرب ، ولا أقبل الناس عليها ، حتى أن مسلمى الصين اليوم وهم خمسون مليونا كلهم يتكلم العربية . وعرب الإسلام آلاف المدن ، فهل يستطيع شباب الدعوة العربية اليوم أن يعربوا قرية واحدة تركية أو كردية باسم العربية ؟

ولما نقلت إلى شمال العراق : إلى كركوك ، كان الطلاب كارهين لدرس العربية ومدرسه ، لما كان يسوؤهم به من الدعوة إلى القومية العربية وهم أكراد وأتراك . فلما دخلت أحسست هذه الكراهية فى نفوسهم ، فخطبتهم خطبة قلت لهم فيها إن العرب كانوا أضل أمة فهداهم الله بهذا الدين الذى تتشرف جميعاً بالانتساب إليه ، والذى منع دعوة الجاهلية ، وحرم العصبية ... إلى أن قلت لهم : تعلموا العربية لا من أجل هؤلاء القوميين من العرب ، بل من أجل محمد الذى تحبونه ، والقرآن الذى تقرؤونه ،

والله الذى تعبدونه

فغاضت العيون بالدمع ، وخشعت القلوب ، وامحت الكراهية من الوجوه ، وصار درس العربية أحب الدروس إليهم

وذهبت مرة إلى السليمانية سنة ١٩٣٨ وهى قصبة الأكراد . وأشهد أن من الأكراد صالحين وعلماء وذوى رجولة وشهامة ، فررت فى آخر السهرة على مسجد فيه عين ماء لنشرب منها ، وكانت ليلةصيف ، وكان معى شباب يجادلوننى فى العربية والإسلامية ، فوجدنا على بساط فى أرض الجامع شابين كرديين من طلبة العلم الدينى منبطحين على وجهيهما وأمام عيونهما مصباح وكتاب فى أصول الفقه ، فيه عبارة معقدة ، فهما يحاولان فهمها وتفسيرها ، ويستميتان بإعرابها ورد ضمائرها إلى مكانها ...

فقلت : ألا ترون ؟ إن هذين يشتغلان بلغتكم العربية أكثر من اشتغالكم أنتم بها ، لأنها عندهما دين ! فهل تستطيعون أن تجعلوا فتى كرديا غير متدين يقبل باسم قوميتكم هذه على العربية ؟ فسكتوا

ولقد كان المسلمون أمة واحدة ، فقامت فيهم هذه الفتنة ، فتنة القومية ! قال الترك : أتراك . فقال العرب : عرب . فقال الأكراد : أكراد . فانقسمت الأمة الواحدة وتفرق الجمع ، وضعفنا وقوى العدو بضعفنا

من الوجهة التاريخية

ثم إنى أحب أن أسأل من هم هؤلاء العرب الذين تفخرون بهم ، وتعتزون بأمجادهم . هل هم عرب الجاهلية والعهود التى كانت قبلها ، والتى لم يدركها نور التاريخ ، ولم يصل إلينا علم المؤرخين إلا قليلا ؟ أم عرب دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وهاتيك المدن والمدارس والمكتبات والمؤلفات ، وذلك العلم والأدب ؟

أما الجاهلية ، فإنا لا نعرف شاعراً واحدا فيها ذكر العرب أمة ، وافتخر بالعروبة جنساً . إنما كان نخر كل شاعر بقبيلته ، ببكر أو بتغلب أو بعبس أو بكندة ، وهذى هى الملقات ، وهذه أشعار الجاهلية ، فهل فيها فخر بالعرب ؟

إن الذى جعل العرب كتلة واحدة من الكتل التى اندمجت فى الوحدة الإسلامية ، هو الإسلام

وكل ما كان للعرب بعد من مجد وعظم وعلم وسلطان وحضارة وفخار إنما صنعه الإسلام ، فكيف يتفق فى منطق هؤلاء القوميين أن نفخر بالفعل وننكر الفاعل ، وأن نمجد أثر الإسلام ولا نقر بالإسلام

يقول بعض المتحمسين من شباب القوميين إن فى العرب قوة كامنة انتفضت مرة فكانت الإسلام . وستكون لها انتفاضة جديدة تخرج بمظهر آخر ، ولكن لا هم ولا نحن ولا أنتم تعرفون ما هو المظهر الآخر !

وهم يعظمون محمدا ويكبرونه ، ولكنهم لفرط الحماسة (وحماسة الشباب أحيانا تقوى على حساب العقل) يسيئون إلى محمد الذى يعظمونه ويصمونه بأكبر ما يوصم به رجل .وهم لا يشعرون . يصمونه بالكذب : هو يقول لهم إنه رسول من الله ، وإن هذا القرآن ليس من عند نفسه ، وهم يقولون لا بل إنه هو الذى ألف من عبقريته ونبوغه هذا القرآن

أفرأيت إلى أين تصل حماسة الشباب (وكدت أقول حماقة الشباب) بأصحابها ؟

ويأتون بكلام له رنة ودوى كدوى الطبل ، وإن كان فارغا من المعنى فراغ الطبل من الشحم واللحم . يقولون (وهذا شعار حزبهم) : أمة واحدة ذات رسالة خالدة

وما زالوا يهتفون بذلك ويرددونه حتى اقتنعوا بأنه من كلام النبوة الأولى . مع أنه لا معنى له . لأن العرب كا

بينا من قبل ، ليسوا بحالهم الحاضرة أمة واحدة ، بل المسلمون هم الأمة الواحدة . ولأن هذه الرسالة إن لم تكن الإسلام كانت مجرد كلام

من الوجهة التطبيقية

والقومية (كل قومية في الدنيا) إنما تقوم على دعائم ثلاث : اللغة ، والعادات ، والتاريخ

أما اللغة فإنها بعلومهـا وفنونها ، كالفلك الذي يدور على قطب واحد ، وقطبها القرآن ، وما أنشئت هذه العلوم كلها إلا خدمة له ، النحو لمنع اللحن فيه ، واللغة لتحقيق عربيته ، والبلاغة لإثبات إعجازه ، والتفسير لشرح معانيه ، إلى غير ذلك مما هو معروف

ودعاة الإسلامية كانوا ولا يزالون ، وسيكونون أبداً هم أئمة اللغة وفرسان بلاغتها ، وأرباب البيان فيها . وما عهدنا للآخرين كاتبا بينا ولا راوية ولا عالما معترفا بإمامته وتقدمه في علوم اللغة

وأما العادات العربية ، على أنه ينبغي الإبقاء أبدا على حسنها ، والتخلص من سيئهـا ، فما رأينا في دعاة العربية من يتمسك بها ! ولقد رأينا أكثرهم يعيش عيش الإفرنج ، ويأخذ أوضاعهم في طعامهم وشرابهم ولباسهم بل ربمـا تزوج من نسائهم وكلم أهله (طبعاً) بلسانهم

وأما التاريخ فواحد . تاريخ العرب هو تاريخ الإسلام . لو حذفنا منه الإسلام وما نشأ عنه لم يبق للعرب شيء ، فالعرب ولد مجدهم وتاريخهم يوم مولد محمد

* * *

الخلاصة أن العربية والإسلامية كدائرتين : صغيرة وكبيرة ، إحداها وسط الأخرى إلا هلالا دقيقـا . هو موضع الاختلاف بينهما . أي أن بينهمـا باصطلاح أهل المنطق عموما وخصوصاً . عاما إلا من وجه واحـد ، هو مسألة المليونين من العرب غير المسلمين . والثلاثمئة مليون من المسلمين غير العرب ، أيهما أحق بأن نتولاه

وكل ما يقول به دعاة العربية (فيما عدا إنكار الوحي وقطع الأخوة في الإسلام يقول به دعاة الإسلامية) بل نحن أحق به وأولى ، نحن أعلم بالعربية وبتاريخها وأمجادها ، ونحن نعمل أكثر منهم على تمجيدها بالإسـلام وإعلاء شأنها . ونحن أصدق منهم إن قلنا عن أمة محمـد (أمة واحدة ذات رسالة خالدة) . والعجيب أن يظن أحـد أننا تخلينا عن القيام بالدعوة إلى العربية ، لا .. ما تخلينا عنها ولكن ندعو إليها تحت راية القرآن التي عز بهـا العرب وشرفوا وصار لهم في التاريخ ذكر ، وفي الدنيا مقام

إننا نحب العرب لأنهم قوم محمد ، واللسان العربي لأنه لسان القرآن ، وموطن العروبة لأن فيه مشاعر الحج والقبلة التي يتوجه إليها المسلمون من أقطار الأرض ، ويدعون إلى الصلاة إليها بلسان العرب الذين نزل بلسانهم القرآن : حي على الصلاة . حي على الفلاح . ولكنا ندعو إلى عصبية ، ولا نعدل بأخوة الإسلام أخوة

ونحن ندعو إلى الوحدة العربية ، لكن على أن تكون طريقا إلى الوحدة الإسلامية ، ولا ننكر إخواننا في الوطن واللسان من النصارى ، لكنا نسألهم ألا يطلبوا منا وهم مليونان أن نقطع لأجلهم روابط أخوتنا بثلاثمئة مليون مسلم غير عربي ، ويحبوننا ونحبهم . ويشاركوننا عقائدنا وعبادتنـا

وفيهم بعد دولتان من أكبر دول الأرض : باكستان وإندونيسيا ، ولا تدخر إحداها في نصرنا وسعـا ، ولا تبخل علينا بدم ولا مال !

وهل قطعوا هم حبالهم من حبال البابا في إيطاليـا . وغير البابا في إيطاليا ؟

دمشق — **علي الطنطاوي**

ترجمو القرآن :

محمد عند أهل الغرب

للأستاذ كمال دسوقي

كان الغربيون قبل ترجمة القرآن يتحاملون على محمد والإسلام؛ ولاغرابة فى هذا التحامل على الرجل ومذهبه. فمن جهل شيئاً عاداه

ففى غمرة التعصب البغيض كتب العالم المشهود له بسعة الأفق والتمرس بالعلوم والرياضيات والآداب — (بسكال) — فيما خلف لنا من خواطره وبتناقض يفضح هذا التعصب والخلو من الروح العلمى — يقول : إن محمداً لم يكن أحد يظاهره؛ ومن ثم وجب أن تكون حجته من القوة بحيث تستند إلى محض قوتها

ولا يلبث أن يذهب — على أثر ذلك — إلى التمييز بين القدرة على الغموض والإبهام، والقدرة على الإثبات بسخف القول، آخذا ما لم يفهم من القرآن على المحمل الأول، ناظراً إلى ما وصل إلى علمه القليل منه على المحمل الثانى — متمنياً لهذا الأخير لو أنه كان من النوع الأول حتى لا يكون فى هزؤ الثانى وسخريته — فيما يرى! فما دام القرآن قد قال إن متى رجل طيب، فمحمد نبى زائف، لأنه يقول عن الأشرار إنهم أخيار، ولا ينظر إليهم من حيث ما قالوا وما آمنوا بالمسيح!

إن كل رجل يستطيع أن يفعل ما فعل محمد؛ لأنه — فى نظر بسكال — لم يأت بمعجزة، ولم يوح إليه؛ ولا أتى ببعض ما جاء به المسيح. محمد قام على التقتيل — تقتيل أعدائه؛ أما المسيح فيقتل أصحابه. محمد بالأمية وتحريم القراءة؛ أما المسيح فبالتعليم والقراءة. ولئن كان محمد قد سلك طريق النجاح كانسان، معنى ذلك فليس أن المسيح كان يستطيع أن يكون أكثر نجاحاً لو سار على الدرب فحسب؛ بل إن المسيحية كان يجب أن تهلك لو لم تكن مؤيدة بعون سماوى!

وإذا كان هذا بعض ما يذهب إليه رجال العلم الأحرار من الشطط فى النظر إلى محمد والإسلام — فيحكمون على القرآن بأنه معان صبيانيــة فى أسلوب سماوى! وهم لن يفهموا الأسلوب. وقد يفهمون المعانى لأنها فى معظمها واردة فى كتبهم ... نقول: إذا كان هذا بعض ما يذهبون إليــه وهم علماء مهمتهم الدرس والتمحيص والحيدة والبرء من الغرض — فلا غرابة فى أن يذهب الشاعر الإيطالى دانتى إلى تصوير الرسول صلوات الله عليه هذا التصوير النابى لأنه — فيما يرى الشاعر — قد ارتكب جريمة الإتيان بدين زائف، وادعى أنه يطلع على الناس بتنزيل سماوى جاء بما لم تأت به المسيحية

* * *

على أنه منذ ظهرت ترجمتا القرآن لأول مرة فى القرن الثامن عشر — قرن التنوير فى العلم والدين: ترجمة سال التى ظهرت سنة ١٧٣٤ وترجمة سافارى (١٧٨٢) بدأ الاعتــدال يظهر على أقلام الكتاب بدءا بأولئك المترجين أنفسهم — وهم أقدر من يستطيع أن يفهم الإسلام فى ذلك الحين بحكم توفرهم على ترجمة كتابه المنزل. فإن ثانى هذين الرجلين يرى أن محمدا أحد هؤلاء الرجال الخارقين للعادة الذين يظهرون بين الحين والحين على وجه الأرض يغيرون معتقدات أهلها ويجرونهم فى عجلة انتصارهم. إن سافارى يرى فى محمد مثلا أعلى لما تنتجه العبقرية الإنسانية حين

عالما جديدا ذا عقيدة سهلة مطابقة للعقل، ومبدأ غاية في البساطة واليسر: الإيمان بالله واحد يثيب المحسن ويعاقب المسيء

ونحا نحو سافاري في تقدير القرآن ونبيه الذي أنزل عليه كتاب أحرار لم يروا غضاضة في تمجيد دين لا يتعارض مع دينهم — منهم نيربان الذي يقول (في تاريخ حياة محمد — باريس ١٧٧٣) -- وإن لم يخل من التحامل اللاذع عليه أحيانا — إنه رجل خارق للعادة. حبته الطبيعة بكل مزية يتزود بها الرجل الكامل، وبعبقرية يتمتع بها المحظوظون من الناس (الموعودون بالأرض)، ثم يقول: إن إخلاصه لرسالته لا نزاع فيه. وإنه قد أخلص الدين لله قبل أن يحمل أصحابه على الاعتقاد به

وغالى بعض الغربيين في الانتصار لمحمد حتى ظن به الغرض وعدم البرء من الغاية؛ وقيل فعلا إنه يرمي إلى إعلاء الإسلام على المسيحية؛ ومن هؤلاء القليل من المنصفين دي بولانفلييه (في كتابه: حياة محمد) الذي يصور فيه النبي العربي بصورة المشرع المستنير العاقل الذي جاء بدين حكيم يحل محل عقائد اليهودية والمسيحية، وكانت تلك قد أصبحت — فيما يقول بحق — لكثرة خلافاتها مشكوكا فيها

ولقد كانت هذه النظرة إلى محمد هي السائدة عموماً بين فلاسفة القرن الثامن عشر الذين لم يعودوا يقبلون التطرف في النظر إلى المصلحين من الرجال تطرف السابقين؛ كما لم يقبلوا تزييف أي دين من الأديان خوفا منه على المسيحية. لهذا كان من العجيب أن يأتي فولتير .. في هذا العصر ذاته الذي اتسم بطابع التسامح الديني — فيهاجم هؤلاء الكتاب المنصفين خصوصا سال ودي بولانفلييه قائلا لهما (في مقدمة مأساته عن: محمد سنة ١٧٤٢): لو أن محمدا قد ولد أميرا، أو لو أنه ولي السلطة باختيار

أمته، إذن لوضع قوانين سامية ولاستطاع أن يحمي بلاده من الأعداء، ولاستحق حينئذ التقدير!

تساعدها الظروف، وأنه — وقد ولد وثنيا! — فقد نشأ لا يعبد إلا إلهاً واحداً لأنه خلال أسفاره قد لاحظ انقسام المسيحيين وتفرقهم شيعا تتبادل اللعنات.. كما رأى اليهود حثالة تتشبث في عناد بقوانينها؛ فأراد محمد أن ينشئ دينا

ويذهب فولتير في تهافت ظاهر إلى حد تجريح منصفي محمد فيقول إن الأصل التركي والإيمان بالخرافات قد أطفأ فيهما كل نور عقلي. لماذا؟ لأنه ما من أحد يستطيع أن يتولى الدفاع عن جمال يحدث ثورة، ويزعم أنه يتصل بجبريل وهو الذي يقتل الرجال ويسبي النساء ليدخلهن في دينه!

ويقول النقاد تخفيفا من ضلال فولتير: لا شك أن فولتير لم يرد أن يقول إن النقائض التي وصف بها بطل روايته موجودة كلها في محمد، وإنما كان للخيال عليه سلطان كبير. وهو نفسه يعترف بذلك ويقول تمجيدا لمحمد: إن الرجل الذي يستطيع أن يحارب قومه قادر على كل شيء

ويقولون كذلك إنه قد عاود الكتابة في هذا الموضوع قصد التخفيف من سابق غلوائه وتعصبه، فاعترف بعظمة محمد ومواهبه

على أن خطر فولتير يتمثل فيمن جاءوا بعده متأثرين به في تناول الموضوع، ولكن عادوا إلى الاستماع لصوت العقل في تساؤلهم: إن مائة وثمانين مليونا من البشر يدينون بهذا الدين مخلصين ويتأثرون محمدا في حياتهم، يحركهم كالنجوم في الأفلاك. وليس من المعقول أن يظن أن هؤلاء كلهم يعيشون ويموتون مخدوعين.

هذا قول كارليل نفسه الذي يعجب في محمد في استجابته

لقانونه الذاتى وإخلاصه لمبدئه وثقته بنفسه وحقيقة وجوده وأصالة شخصيته وما وجه من أنظارنا إلى اللامتناهى واللامحدود ؛ والذى يصرح بأن محمداً — نبيا أو شاعرا — رجل غير عادى

ما هذا التناقض إذن فى تفكير هؤلاء الرجال ؟ إنه كما يقول المؤرخون عصر الشك في المعتقدات عند الغربيين. وإذا نظرنا إلى هؤلاء الكتاب وجدنا بعضهم يصدر عن تعصب لدينه المسيحى ، وبعضهم يذهب به التعصب للدين إلى حد أن يهاجم ماعداه . وهؤلاء خير من آخرين ملحدين لايؤمنون بالأديان جميعا ، ولكنهم إذ لايستطيعون أن يهاجموا دين بلادهم الرسمى ويستمدوا سلطاتهم الدينية فهم يتطاولون على الإسلام ولو لم يعرفوه . والجميع مما نمر بآرائهم عابرين لا يستوقفنا إلا نزاهة البعض واعتداله فى تقدير الأمور

والألمان خصوصا خير من يتعرض للدراسات الإسلامية بروح علمى لا يشوبه تعصب أو تطرف . وآخر من قرأت له من هؤلاء فى ترجمة فرنسية ظهرت أخيرا لكتابه (محمد : حياته ونظريته) الذى نشره جان جود فروى دى مومبين بإشراف معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس العلامة تور أندريه الأستاذ بجامعة أوبسال الذى حمل المثقفين (فى كتابه ظهور الإسلام) على الاعتراف بأن دراسة الإسلام تفتح آفاقا جديدة لتطور العقل البشرى — كما يقول المؤرخون

وليس فى كتابه « حياة محمد ونظريته » أجل من تحليله السيكولوجى لتحامل الغربيين على التاريخ الإسلامى . فهو يرجع هذا التحامل لا إلى مجرد الجهل ولا إلى الفكرة السائدة بينهم عن زيف النبى محمد ، ولا إلى عداوة الغربيين وكراهيتهم للترك فحسب ، بل هو فيما يرى أعمق من ذلك :

إن أقل ما يفهم المرء نفسه — كما يقول — بين والديه . والمسيحى يرى فى الإسلام أشياء كثيرة تذكره بدينه هو ولكن فى صورة شوهاء . فهو يرى مواد فى الدين وآراء فى العقيدة مشابهة تماما لأفكار دينه؛ ولكنها تأخذ طريقاً آخر إلى غير دينه . وهذه المواد والآراء هى عنده من الألفة بحيث لا يريد أن يرى فيها جديداً أو يعترف لها بأية أصالة . وهو فى غمرة عدم الاكتراث لما يظن أنه يعرفه وليس جديدا عليه يمر دون أن يدرك حق الإدراك ما يختفى عليه حينئذ — لعدم جدته — وهو هذا الاتجاه الروحى الذى جعل الإسلام يحتل مكانه اليوم بين الأديان لمجرد حقه فى الحياة والبقاء

ولا أختم بأحسن مما اختتم به المؤلف الألمانى مقدمة كتابه قائلا للغربيين : إنه قد سهل علينا أن نسيغ أفكارا دينية غاية فى الغرابة والجدة علينا كعقائد الهنود والصينيين . فلكى نفهم النبى العربى وكتابه يلزمنا أفق أوسع ونظرة أدق واستقلال عقلى وروحى أكبر وأتم

كما أقول للمسلمين فى جرأة : ترجموا القرآن إلى كل لغة — وترجموه كل جيل مرة — ولو ظهرت له ألف ترجمة ، فلم ينصف الغربيون الإسلام إلا إذا كل ترجمة ظهرت للقرآن ، على ما فى هذه الترجمات من جحود وخلط وإساءة

كمال دسوقى

في النظم الإسلامية

من تنظيمات الاحسان

للأستاذ لبيب السعيد

لا تزال الخدمة الاجتماعيــة فقيرة إلى دراسة إسلامية متخصصة تشارك في نهج قواعد هذا الفن وتقرير أساليبه ، وترفد تاريخه بأغنى الروافد وأعذبها

وهذه الدراسة التي ننشدها والتي نرى أنها تقوم على التنقيب الصابر والجمع البصير ، ثم التحقيق الواعي والدرس الدقيق ، حرية أن يجرد لها المسئولون في معاهد الخدمة الاجتماعية عندنا وفي جامعاتنا كتيبة من الباحثين لهم بصر بالإسلام وقدرة علميــة على سبر تاريخه وفقهه وأدبه وسير أعلامه . ولقد بلونا أغلب أساتذة الخدمة الاجتماعيـة في مصر يعجزون عن التحرر من الاتجاهات الغربية في تفكيرهم بل في تعبيرهم ، فحرى بالكتيبة المرجوة أن يكون لأفرادها من الاستعداد والاجتهاد والإخلاص الأمين للمعرفة ما يكفيهم هذا العجز

ولعل من أمثلة الإهمال النليظ الذي يشهده المتصلون بدراسات الخدمة الاجتماعيــة في مصر أن هذه الدراسات حين تتناول تنظيم الإحسان تسكت من خطة الإسلام في هذا الشأن سكوت الجاهل ، أو تذكر — وقلما تذكر — وشلا من محيط ، بينما تفيض أيما إفاضة في النظم الأوربية . والامريكية : فهي تتحدث مثلا عن إرشادات سنة ١٥٢٩ في همبرج التي صدرت للمشرفين المحليين ليتعرفوا أحوال الفقراء ، ويتيحوا العمل لمستحقيه ويقرضوا المعوزين قرضا حسنا ويساعدوا المريض ؛ أو عن أوامر شارل الخامس سنة ١٥٤١ بجمع الإعانات في الاراضي المنخفضة وتوزيعها على الفقراء وتعليم اليتامى وتشغيلهم ومساعدة الكسالى والشردين ، أو تسترسل في الحديث عن قوانين الفقر الإنجليزية التي صدرت في القرن السادس عشر ؛ أو تردد الكلام عن نظام المزارع الريفية الأمريكية التي تضم الفقراء وضعاف العقول والسكيرين ... إلى آخر هذه النظم

والحق أن المسلمين سبقوا إلى تنظيم الإحسان على نحو لا تكاد النظم الغربيــة تستشرف إلى سمو مكانته . فالصدقات — وهي في الإسلام المصدر الأول للاحسان ، والركن الثالث من الأركان التي بنى عليها الدين — تتكرر في الصحاح أن النبي أوفد من رجاله من يجمعونها . والأخبار على أن الخلفاء بعده عينوا الموظفين لجمعها ، وأنه في مختلف العصور كان لجبايتها عمال متخصصون يدخل فيهم الساعي والكاتب والقاسم والحاشر الذي يجمع الأموال وحافظ المال والعريف ... [1] ولقد اقترح « أبو يوسف » على « هرون الرشيد » تعيين موظف خاص للصدقات في جميع البلدان . يقول أبو يوسف للرشيد : « ومره المروجه فيها أقواماً يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم يجمعون إليه صدقات البلدان » [2]

أما توزيع الإحسان ، فكان مخصصا له أيضا موظفون ودواوين ، وهذا دليل على أنه كان لإجرائه ترتيب مقدور وله صفة النظام والدوام

جاء في تضاعيف أحد الأخبار أن « المنصور » ولى عامله بالبصرة الإجراء على القواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن وعلى العميان والأيتام [3] . ويذكر « الطبري » عن الخليفة « المهدي » أنه أمر في سنة ١٦٣ أن يجرى على المجذمين وغيرهم [4] . كما يذكر « المقدسي » عن نفس

(١) الشوكاني : نيل الأوطار ج ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٩ والمسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢٣٩ وابن عساكر الشافعي : التاريخ الكبير ج ١ ص ١٩١

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٩٦

(٣) التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٥٧

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٩ ص ٣٤٢

الخليفة أنه أجرى على العميان والمجذومين والضعفى [٥] . وكذلك يذكر « الجهشيارى » عن « الرشيد » أنه أمر بإجراء القمح على أهل الحرمين وغيرهم ممن ذكرهم تفصيلا [٦] ويروى « ابن مسكويه » فى كتابه « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » فى ذكر ما دبره « على بن عيسى » فى وزارته سنة ٣١٥ وما جرى فى أيامه أنه قلد رجالا تمام دواوين متعددة ، منهم «أبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن» الذى تولى « ديوان البر والصدقات » . [٧] « وطاهر ابن الحسين » فى النهج الشهير الذى رسمه لولده « عبدالله » حين استعمله « المأمون » على « الرقة » ، يدعو ولده إلى « تعاهد أهل البيوتات ممن دخلت عليهم الحاجة فيحتمل مؤنتهم ويصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا » ، ويقول له : « وتعاهد ذوى البأساء وأيتامهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين (يريد المأمون) فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة» [٨] . ويروى « ابن خلكان » أن « ابن الفرات » كان يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهل البيوتات أكثرهم مائة دينار فى الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك . [٩]

* * *

والإسلام — قبل النظم الحديثة — يكره أن يغرى الإحسان غير المحتاجين بالتكفف والاعتماد على عطف المحسنين ويصرفهم عن طلب الرزق ، فهو يحب للناس أن يستغنوا بالعمل عن الحاجة الملجئة للسؤال . يقول النبى (ص) «اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة» [١٠] . وهو ينهى عن المسألة الملحفة : « لا تلحفوا فى السؤال ، فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته منى شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته » [١١] . بل هو يخوف من المضى فى السؤال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » [١٢]

والإسلام ، مع بليغ رفقه بالمحاويج يحرم سؤال التكثر ويشدد النكير والمؤاخذة على محترفيه ، فالرسول (ص) يقول: من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » [١٣] وإنه ليتحدث عن آخذ الصدقة بغير حق فيقول إنه « كالذى يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » [١٤]

ومن مصاديق هذه النظرة الإسلامية أن الرسول نفسه يترفع بأسرته وأقربائه عن التدلى إلى مستوى قابلى الصدقات ، فهو يحرم عليهم الصدقة ولا يجعلهم فى صف ذوى الفاقة ؛ يقول : « إن الصدقة لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس » [١٥] . وقد أخذ سبطه الحسن بن على تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه ، فقال النبى : كخ كخ ، ليطرحها ثم قال : أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ؟ [١٦] بل إنه ليحرم الصدقة على موالى آله ، ولو كان الأخذ على جهة المهانة [١٧] . والمسلمون يتأثرون النبى ويقتدون به ، فيرون التعالى عن الصدقة واجبا محتوما على المستغنى : شرب عمر بن الخطاب لبنا فأعجبه ، فسأل الذى سقاه : من أين هذا اللبن ؟ فأخبره أنه ورد على ماء قد سماه « فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فجعلوا لى من ألبانها ، فجعلته فى سقائى ، فهو هذا » فأدخل عمر يده

(٥) القدسى :
(٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٧٧
(٧) ج ٥ ص ٢٥٦ منقول بالتصوير الشمسى ، ونشره « مرجوليوث »
(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٣٨
(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٢
(١٠) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٢٤
(١١) نفس المصدر ص ١٢٨
(١٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٣٠
(١٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٣٠
(١٤) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٤
(١٥) مختصر لأحمد ومسلم — انظر الشوكانى ج ٤ ص ١٦٤
(١٦) متفق عليه رواه البخارى — انظر الشوكانى ج ٤ ص ١٧٢
(١٧) الشوكانى ج ٤ ص ١٧٤ .

فاستقاء (١٨)

والإسلام فى إبائه أن تتسرب الصدقات لغير المستحق، يعين مصارفها ، بحيث يفيد منها الفرد والجماعة والدولة والدين . « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » (١٩) . ويقول النبى فى شأن تعيين هذه المصارف : « إن الله تعالى لم يرض فى قسمة الأموال علك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه » (٢٠)

ويحبب الإسلام فى العمل المنتج مهما يكن شأنه ضئيلا، ليس فحسب ليمول المرء نفسه فى ظل الكرامة والاستقلال ولا يكون كلا على الدخل القومى ولا يدخل على المسئول ضيقا فى ماله ، ولكن أيضا ليسهم فى التقدم الاجتماعى للأمة ويحرز شرف التصدق « لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » (٢١)

ومن جميل ما أشارت إليه السنة أن الأنبياء مع علو درجتهم كانت لهم حرف يكسبون منها الحلال الخالى عن المنة ، فآدم احترف الزراعة ، ونوح التجارة ، وداود الحدادة ، وموسى الكتابة كان يكتب التوراة بيده ، وكل منهم قد رعى الغنم . (٢)

ويجعل الرسول عدم السؤال أمراً يطلب إلى المسلمين مبايعته عليه : حدث عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث عهد ببيعته ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا — وأسر كلمة خفية — ولا تسألوا الناس شيئا ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدا يناوله إياه (٢٣)

والإسلام حريص على كل الناس ألا يتعطلوا ، ولذلك يتيح لمن لا مال لهم التعاقد مع أرباب الأموال الذين يعجزون عن تثميرها على تولى التثمير بشرائط خاصة تحقق نفع الطرفين كليهما . فالفقه الإسلامى يبسط أحكام المضاربة ، وهى شركة فى الربح يكون المال فيها من جانب والعمل من جانب آخر (٢٤)، والمزارعة وهى شركة فى إنتاج الأرض بين صاحب الأرض والعامل (٢٥) ، والمساقاة وهى شركة فى الثمر بين صاحب الشجر والعامل (٢٦) . كما يضع الفقه الإسلامى أحكام الإجارة وهى عقد تمليك المنافع أو هى بيع المنافع (٢٧)

وتنشيطا للحياة الاقتصادية ، لا يحب الإسلام حبس المال عن الاستغلال ، ولذلك أعطى القاضى حق إقراض مال الوقف والغائب واللقطة ، بل إن مال اليتيم — وحرص الإسلام عليه هو ما هو — يستطيع القاضى أو الوصى إقراضه بشرائط ، وكذلك مال المسجد للمتولى إقراضه (٢٨)

وتخديم المتعطلين الغرباء من التقاليد الإسلامية . يروى « ابن بطوطة » فى رحلته أن كل من كان ينقطع بجهة من جهات دمشق « لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة ... » إلى أن يقول : « ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب

(١٨) رواه مالك فى موطئه

(١٩) سورة التوبة — ٦٠

(٢٠) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ، وانظر الشوكانى ج ٤ ص ١٧١

(٢١) متفق عليه ، رواه البخارى ، انظر الشوكانى ج٤ ص١٦٢

(٢٢) راجع السيوطى : فيض القدير — شرح الجامع الصغير للمناوى ج ٤ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٣١

(٢٤) الكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ج ٦ ص ٧٩ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٦٤

(٢٥) انظر ابن عابدين : حاشيته على الدر المختار ج ٥ ص ٢٦٧ وما بعدها ، وانظر ابن الهمام : فتح القدير ج ٨ ص ٣٢ ، والكاسانى ج ٦ ص ١٧٥ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٧٢

(٢٦) انظر الكاسانى : ج ٦ ص ١٨٥ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٧٢

(٢٧) انظر ابن الهمام : القدير فتح ج ٧ ص ١٤٦ والشوكانى ج ٥ ص ٢٨١ وما بعدها

(٢٨) ابن عابدين : ج ٤ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ ، وابن الهمام ج ٨ ص ٤٦

أخر : من حراسة بستان أو أمانة طاحون أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح » ... الخ [٢٩]

والتصدق على الجناة متيرل فى الإسلام ما صلحت نية التصدق وما أريد بالصدقة رد الضال وإقامته على الطريق . والنبى فى هذا الشأن يروى قصة محسن وقعت صدقته عند زانية وعند سارق وعند غنى . فقبلت صدقته « أما الزانية فلعلها تستعف به من زناها ؛ ولعل السارق أن يستعف به عن سرقته ؛ ولعل الغنى أن يعتبر فينفق مما آتاه الله عز وجل » [٣٠]

وفى تنظيم الإحسان ، يسبق النبى غير مأموم بأسوة أو متبع لسابقة ، إلى تقرير (بحث الحالة) الذى هو من أنفع ما تقرره الخدمة الاجتماعية الحديثة : عن « قبيصة بن مخارق الهلالى » قال : تحملت حمالة (الحمالة هى المال الذى يستدينه الإنسان وينفقه فى إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك) فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسأل فيها ، فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، قال : ثم قال : يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ، أو قال سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه ، لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً [٣١]

فالنبى يرى ألا يأخذ سائل بدعوى الفاقة شيئاً حتى يتحرى أمره ، فيشهد بإعساره لا فرد واحد قد يكون له هوى فى المنع أو الإعطاء بل ثلاثة ، وليسوا ثلاثة كيفما اتفق فيكون منهم من لا نظر له أو من لا فهم له ، وإنما ثلاثة يكونون جميعاً من ذوى اليقظة والعقل ، حتى تكون شهادتهم حيث يريد التحرى من القبول والتقدير ، ولا يكون هؤلاء ممن لم تربطهم بالسائل علاقة تقفهم على حقيقة ماله — والمال مما يخفى عادة ولا يعلمه إلا ألصق الناس بالمرء — وإنما يكونون من أهل الخبرة بحاله باطنه وظاهره حتى لا يشهدوا بما لم يحيطوا بعلمه . والإحسان بعد كل تلك الحيطة ليس شيئاً غير ممنوع ولا مقطوع ، وإنما هو بالقدر الذى يتيح قواما من عيش ، فإن تجاوزه فهو حرام لا يحل كسبه ولا أكله

والإسلام فى تعريف المسكين الذى تحق له الصدقة ثاقب النظر دقيق التقدير واسع الرحمة . يقول النبى (ص) : « ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان ، ولكن المسكين الذى ليس له غنى ويستحى أو لا يسأل الناس إلحافاً » . وفى رواية مسلم : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : « الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً » [٣٢]

* * *

أما بعد . فهذه إلمامة يضيق المقام عن الغوص فيها إلى الأعماق . وماينبغى من استهداء الإسلام إلا توجيهاته الراشدة فى الخدمة الاجتماعية بمجرد الإشادة بأمجاده والتحليق فى الآفاق بتراثه . ولكننا نبغى أيضاً بعض البر بالعلم وبعض الإخلاص لذلك الفن ذاته

لبيب السعيد

(٢٩) ابن بطوطة : تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار ج١ ص٦١

(٣٠) راجع الشوكانى : ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٤

(٣١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ١٣٣ و ١٣٤ وانظر الشوكانى جـ ٤ ص ١٦٨

(٣٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٨

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٢٩

الدعوة الوهابية وأهدافها

أسرار الحرب بين أسرة محمد على وآل سعود

للأستاذ محمد كامل حته

آن أن يكتب التاريخ من جديد ...

هكذا قلت لصديق ونحن نسمر فى فندق مصر بمكة ، ونستعرض تاريخ تلك الحروب الدامية التى نشبت بين مصر والحجاز فى عهد محمد على الكبير

واتصل بنا الحديث فتناول تاريخ الدعوة الوهابية ، التى تعتبر إحدى انتفاضات ثلاث كان لها شأن كبير فى تاريخ الحركات الدينية والسياسية فى العالم العربى: الوهابية فى جزيرة العرب، والسنوسية فى شمال إفريقية، والمهدية فى السودان ...

فما هى البواعث الحقيقية لتلك الحروب التى شنها محمد على وأولاده على الحجاز ؟

وما هى حقيقة الدعوة الوهابية وأهدافها الدينية والسياسية ؟

أما هذه الدعوة ، فهى – كما قلت – إحدى الانتفاضات الدينية التى انفعل بها العالم العربى ، والتى كانت منبعثة من صميم الإحساس بما وصلت إليه حال المسلمين من الجهل بحقيقة الإسلام ، وتدهور العقيدة وتحلل مقومات في النفوس ، مما تخلف بهم عن مكانهم الطبيعى فى الصدارة ، وجعلهم خولا للأجنبى ، يطأ أعناقهم ويستولى على بلادهم ، ويسلبهم ما فى من مقومات حياتهم ميراث تاريخهم ...

وفى قرية « عيينة » من قرى نجد ولد محمد بن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة ، فى مطلع القرن الثامن عشر . وقضى صدر شبابه مرتحلا إلى الأحساء والحجاز والبصرة وبلاد فارس . وتتلمذ على ما كتبه ابن تيمية وأتباعه ، وخاصة ابن القيم وابن كثير، وهم من الأئمة السلفيين الذين كان لهم فى تاريخ التوحيد الإسلامى جهود ضخمة ، ردت إليه اعتباره وجددت شريعته السمحة البيضاء .

إذن فقد اجتمع للرجل فى اتصاله بحياة المسلمين فى كثير من الأقطار ، وفى تفقهه لأسرار الشريعة الإسلامية ؛ ما ملأ قلبه غيرة على حال المسلمين ، وحسرة على ما وصلوا إليه من جهالة وضعف وانحلال . وحفزه ذلك إلى الجهاد فى سبيل تجديد إيمان هذه الأمة ، وتسديد عزائمها إلى مواطن العزة والشرف .

وكانت الجزيرة العربية لذلك العهد ممزقة الأوصال ، متعددة الولايات والولاة ؛ لا تهدأ بينهم نار الحرب ، ولا تخبو الإحن والثارات . وكذلك كان الشأن بين البدو والحضر ، وبين القبائل بعضها وبعض ، بل وبين أبناء البيت الواحد ممن يتنافسون على المناصب والمغانم . حتى أن أحد أشراف مكة لم يتورع عن قتل أخيه ثم طبخ لحمه وقدمه إلى بقية إخوته فى وليمة ساهرة !

وكانت الخرافات والعقائد الضالة قد استحوذت على العقول ، حتى لأوشكوا أن يرتكسوا فى جاهلية عمياء ، هى شر من الجاهلية الأولى ؛ لأن أهلها يزعمون مع ذلك أنهم مسلمون ...

وبدأت دعوة محمد بن عبد الوهاب بالعمل على إصلاح العقيدة الدينية . وهل إلى ذلك من سبيل غير الرجوع إلى منابعها الصافية : الكتاب والسنة !

ومن خصائص العرب فى جميع العصور ، أن طبيعتهم السمحة القوية ، وبيئتهم البادية المتصلة بالكون، المتفاعلة فيه ، هى أقرب الطبائع البشرية إلى روح الإسلام وطبيعته . وليست كذلك طبيعة الأمم التى أغرقتها الحضارة ، واستغرقتها العقائد السادية ، وأنهكها الترف المثقل ، وخدرتها أوهام التصوف وتهاويل الفنون ...

ولذلك استطاع الإسلام أن يحقق بأولئك العرب ، بعد أن زالت عن طبيعتهم السمحة القوية أدران الجاهلية ، وتطهر جوهرها النقى مما شابه من عقائد وأفكار – استطاع

أن يحقق بهم أروع وأسرع معجزة فى فتح الأمصار ونشر كلمة الله

فلما اتصلت حياتهم بتلك الأمصار ، وتذوقوا ما فيها من ألوان الحياة الحضارية، وبهرتهم دنياهم الجديدة بما فيها من زينة وزخرف ومتاع ، تأثروا بذلك كله ، فضعفت قواهم المبدعة الخلابة، ولم يستطيعوا أن يتابعوا جهادهم بعد الفتح فى تطوير عقائد تلك الأمصار، وانبعاث صور جديدة للحياة فى شتى مناحيها العقلية والاجتماعية ، يتصل إلهامها بروح الإسلام وطبيعته ، فكان أن ذرت العقائد الموروثة التى حاربها الإسلام بقرونها من جديد ، فى صور موشاة بألوان تخيل للرائى أنها صور إسلامية، وإن كانت فى مادتها ووحيها بعيدة كل البعد أو بعضه عن مادة الإسلام ووحيه ...

وانظر معى الآن ـ ولا تجزع ـ إلى ذلك التراث الضخم الذى خلفته العصور الإسلامية منذ انحسر عنها مد العروبة المسلمة أو غاض ، وانطلقت غرائزها تبنى للاسلام حضارته العمرانية والعقلية ، فى مصر وفارس والهند وتركيا وغيرها من الأمصار؛ فتنشئ العمارة ، وتمارس العلم والفلسفة ، وتصوغ فنون الحياة ... أترى معى حقيقة ـ إذا تجردنا من أوهام ذلك التاريخ الذى نعيش فيه ، وتحررنا مما رسب فى أعماقنا من معايير وموازين ـ أن هذه الحضارة الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ، وذلك التراث الضخم الذى نزهو به ، وتلك الحياة التى أبدعت هذه الحضارة وذلك التراث ، والتى نحياها الآن على نمط قريب مما كان يحياها أولئك الآباء والأجداد ؛ أتراها معى حقيقة ، حضارة إسلامية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى؟ أم أنها حضارات متعددة تمتد جذورها إلى أعماق الأمم التى صنعتها ، فى مصر ، وفارس ، والهند ، وتركيا ، وغيرها من الأمصار ؟

قد تتهمنى بالمغالاة والتجنى على مقومات الحضارة الإسلامية . وقد تقول : إن هذا التعدد فى ألوان الحضارة الإسلامية لا يتصل إلا بمظاهرها ، وبالقدر الذى تختلف به طبيعة كل أمة ومؤثراتها الخاصة ، وأنها فى جوهرها ومجموعها تنبع من معين واحد هو معين الإسلام ...

وفى هذا الاعتراض نوع من المغالطة؛ فإن هذه الألوان المتعددة فى معالم الحضارة الإسلامية ، لا يقتصر تعددها واختلافها على المظهر فحسب ، ولا يرجع ذلك التعدد والاختلاف إلى تأثير البيئة واختلاف الطبيعة ـ وإذن لهان الأمر ؛ ولكنه أعمق من ذلك جذوراً وأبعد أسا ؛ ذلك لأن هذا الاختلاف فى الظاهر لا يقاس إلى ما بين العقائد والأفكار والمشاعر التى تكمن وراءها من تباعد واختلاف.. وبالقدر الذى يباعد بين هذه العقائد والأفكار والمشاعر الموروثة، وبين الإسلام فى حقيقته الأولى وتمثله للكون والحياة

وفى هذا الاعتراض كذلك شبهة لا يمكن إزالتها إلا بالاحتكام إلى الإسلام ذاته ؛ لا عن توهم أنه دين تأبى طبيعته التطور، وينكر حق العقل فى بحث أسرار الكون وإخضاع نواميس الطبيعة؛ ولكن عن إدراك طبيعة الإسلام باعتباره دينا يقوم على « التوحيد » فى كل شىء : التوحيد الذى يسمو بالإنسان عن كل عبودية إلا لله، ويجعل المسلم قواما على الحياة والكون يسيطر عليهما ويسخرهما لتحقيق الرسالة التى جاء بها الإسلام لخير الفرد والمجتمع ؛ لا أن يكون عبداً للكون والحياة ، تستخدم مواهبه فى الفنون حتى يكاد يعبد ما خلق، وتستغرق عقله بالفلسفة حتى تصرفه عن العمل . .

* * *

على أنى أرانى قد أبعدت كثيراً فيما أعالج من أمر الدعوة الوهابية وبواعثها وأهدافها ، فلندع هذا الحديث الذى لا توفيه هذه الإلمامة حقه من الحجة والبيان . ولنعد إلى حديثنا عن صاحب الدعوة محمد بن عبد الوهاب :

أراد هذا الإمام أن ينهض بدعوته . وهل لها إلا تلك « الخامات » العربية التى تنطوى على عناصر الحرية ، والاتصال المباشر بالكون ، والاستواء على أقطار الحياة يبرئها مما أصابها من غشاوة الجهالة ، ويردها إلى فطرتها السمحة ، ويغذيها بوحى الكتاب والسنة ؛ ثم ينطلق بها

خفيفة مؤمنة صابرة ، تحمل أعباء الدعوة ، فتنشر الهدى المحمدى ، وتقر الأمن المضطرب ، وتحمى البيت الذى يتخطف الناس فيه ، ثم تمضى برسالتها إلى أبعد الآفاق ...

تلك كانت دعوة محمد بن عبدالوهاب . وهذه وسيلته ..

ولقد نجح هذا الداعية فى المرحلة الأولى – مرحلة الانتصار على أهواء الجاهلية ، وأدواء الجهالة ، واستنفار « الإخوان » للدعوة إلى سبيل الله – نجاحا كاد أن يتجاوز حده فيقع بهم فى السرف ، أو قد كان.

وكانت دعوة محمد بن عبد الوهاب تسير جنبا إلى جنب مع مراحل الدولة السعودية ، فلما دانت الجزيرة العربية لآل سعود فى مطلع القرن التاسع عشر ، كانت هذه الدعوة تزلزل قلوب كثير من السلاطين والولاة فى البلاد الإسلامية ، ويرون فيها خطراً جائحا يخشى أن تمتد آثاره فتقضى على الأوضاع الظالمة والعقائد الفاسدة التى يقوم عليها كثير من العروش والتيجان ...

أحس بهذا الخطر سلطان تركيا ، وكان يعيش فى تلك الأسطورة التى توهمه ، أو يوهم هو بها الناس ، بأنه ظل الله فى أرضه !

وأحس به محمد على فى مصر ...

وكان إحساس سلطان تركيا بخطر الدعوة الوهابية مزدوجا ؛ لأنه كان يحس فى الوقت نفسه بخطر محمد على فى مصر . فأراد أن يضرب الضربة يصيب بها الاثنين معا ، فطلب إلى محمد على أن يغزو الحجاز ؛ وأن يقضى على أولئك المتمردين العصاة !

ووجدها محمد على فرصة يضرب بها ضربته ، باسم خليفة المسلمين ؛ ظل الله فى أرضه ...

ثم كانت الغزوات والحروب التى ذهب وقودها مئات الألوف من أبناء مصر ، وعشرات الألوف من أبناء الجزيرة العربية . والتى خلقت فى نفوس الشعبين تلك الموجدة التى تذكو نارها تارة وتخمد أخرى ...

وكتب التاريخ الزائف قصص البطولة والنصر لجيوش الخليفة وولاته فى مصر ، على الدعوة الثائرة المتمردة فى جزيرة العرب . هذه الجيوش المغلوبة على أمرها ، والمسخرة لأطماع الولاة وأهوائهم . والتى حبست عشرات السنين عن أن تؤدى واجبها الحق حين كان أشراف مكة يرشون السلاطين والولاة : ثم يعيثون فى الأرض المقدسة فسادا ، فيقتلون ويسلبون ، ويغرون سفهاء البدو فيهدرون دماء الحجاج ، وينهبون أموالهم ، ويهتكون أعراضهم ، ولا يرسلون من هذه الجيوش إلا كتيبة لحراسة « المحمل » وهى تحدو ركبه بالطبول والمزامير

* * *

ويبدو أن لتلك الحروب أثراً كبيرا فى توقف الدعوة الوهابية عند خطوتها الأولى ، وهى المناداة بالشريعة الإسلامية لتكون أساس الحكم ، والرجوع إلى الكتاب والسنة فى كل أمر ، واستنفار أهل البادية ذوى الحمية والبأس للاضطلاع بأعباء هذه الدعوة . أما ماوراء ذلك من خطوات تتصل بتدعيم هذه الدعوة بالعلم ، وتخريج أفواج الدعاة الذين لا يقتصرون على سورة الحماس الدينى ، دون البصر بشريعة الإسلام فى الحياة ؛ وتعبئة قوى الأمة للتحرر الدينى والسياسى – فذلك ما قصرت عنه الأسباب ، وما انتهى بالدعوة إلى أضيق الحدود

ولقد كان من أثر ذلك أن الملك عبدالعزيز ذاته ، حين أراد أن يخرج قليلا من نطاق تلك الحياة الجامدة الراكدة ، وأن يدفع بلاده خطوات يسيرة فى سبيل الحياة ؛ انقلب عليه أشد أعضائه وأنصاره من « الإخوان » أعداء ألداء ، ووقعت بينه وبينهم فتنة دامية ، انتهت بغلبته عليهم ، ووقوع زعيمهم فيصل الدويش أسيرا فى يده ، وعندئذ تنفس الملك عبد العزيز الصعداء ، وقال : من اليوم سنحيا حياة جديدة !

محمد كامل عتر

صديقى الشاعر

للأستاذ حبيب الزحلاوى

طالما سمعتك يا صديق تقول : إن الشعر أسمى أنواع الأدب وأعلاها ، وإن الشعراء يسمون بالإدراك الإنسانى إلى مراقى معرفة الحياة ، وإنهم مصابيح النفوس ، ومنارات الأفئدة ، ومشاعل الأذهان ، ولهب الأرواح ؛ وإن الحياة بغير الشعر وبدون الشعراء ليست إلا صحراء تصفر فيها أبالسة المادة وترقص شياطين الشهوات على عاصف رمالها

وكنت تقول : إن الشعراء جبلوا من دموع الأسى والأحزان ، ومن بسمات الفرح والغبطة ، وإنكم كونتم من أنفاس الثكالى ومن مرح الفتيات المرحات . وإن قلوبكم بقدر ما هى لينة يذيبها الوجد ، هى صلدة صارمة ، إن تأثرت من النظرة الحنون ، أو من الحدث الاجتماعى ، أو من أى أمر يمس الحرية ، أو مسألة تدنو من الإنسانية ، تغرد أو تزمجر . إن غردت سحرت الإنس وأسكرت الجن ، وإن زمجرت طوحت بالتيجان والعروش ، وأودت بالطغاة والجبابرة إلى الدرك الأدنى فى أودية الجحيم

وقلت يا صديق إن الشاعر يسبق جيله ، يحس بما تختلج به الأفئدة ، وتدرك بلمحة خاطفة من لمحات ذهنك اللامع ما يجول فى الصدور ، فتصور ببراعة العبقرى أحاسيس النفوس فى شتى انفعالاتها ، وترسم بنظمك الموسيقى الموزون مشاعر أمتك فى مختلف أحوالها

إن ادعاءك هـذا هو الحق المبين ؛ ولكن هل علمت يا صديق الشاعر ، أعزك الله وأبقاك ، ماذا حدث فى مصر وما طرأ عليها من طوارئ وأحداث منذ هل عام ١٩٥٢ حتى أدركه المحاق ؟ هل نقل لك الرواة خبر فئة من العسكريين قامت بعمل من الأعمال ؟ هل دريت أن فاروقا الذى طالما سخرت من القمر بدرا إذا شبهته بسناه ، ومن الزهر عطرا نضرا إذا قورن بشذاه ، فاروق ذلك الذى قلت فيه « إن أخلاقه الشخصية قدوة للمصريين » وإنه مثال للأخلاق العالية والنفوس الرضية ! إنه أصبح أحدوثة يتندر العالم بأفاعيلها ! وسطوراً فى سجل التاريخ ، وإنه لن يرى مصر أبدا ولن تضم رفاته أرض مصرية قط !

لست أدرى يا صديق الشاعر إذا كنت أحسست طغيانا وقع ، أو شعرت بالحرية مست ، أو بالحقوق ديست ، أو بالأعراض استبيحت ، أو بالأرواح أزهقت ، لا بأيدى زبانية فاروق بل بيد فاروق وبأمره . أكبر ظنى أنك لا تدرى شيئا من ذلك

أنت يا صديقى الشاعر فى واد ، والأمة التى أنت منها فى واد آخر . فإذا خفيت عليك فعال اللواء محمد نجيب ، وهان عليك إنكار أعوانه الضباط ذواتهم فى سبيل الوطن ، وشغلت عن التفاف عشرين مليونا من المصريين حوله وقد أنزلوه فى حبات قلوبهم ، وذهلت عن مئة مخلوق كسالى وألف قميد سفهاء من مالكى آلاف الفدادين انتزعت منهم لتوزع على فالحى الأرض وزارعيها ، ولم تلتفت إلى شعب كانت سمته تتمرغ فى الأوحال فانقلب فصار العالم يتطلع إليه يرمقه بعين الإكبار والإعجاب ، إذا كان هذا بعض ما وقع بين سمعك وبصرك وأنت ذاهل أو غافل ، أيصح لك بعد اليوم أن تدعى الشعر وتتكلم فى الشعور ؟

لقد انصرمت شهور منذ طرد الطاغية ودك عرشه . لقد انقضت هاتيك الشهور فى العمل الجدى المجدى ، فقد زالت من عالم الوجود أحزاب وأذناب ، وامحت من سجلات التقاليد ألقاب وأرباب ، وطهرت الأداة الحكومية وانعدم الفساد والرشوة والوساطات والمحسوبيات ، وشرعت محاكم الأمة تطهر مصر من الخونة والنادرين ، وقع كل هذا بين سمعك وبدرك يا صديق الشاعر ، ألم يكن بعض ما وقع كافياً لتحريك رواسب نفسك الشاعرة ؟

ألم تستك قدماك إلى طريق عابدين ؟ ألم تر المهانة والذل والانكسار تجلل القصر بوشاح أسود ؟ ألم تنصت إلى

صراخ حجارة القصر، إلى قاعاته وجدرانهــا، إلى كل ركن وناحيــة، إلى كل سرداب ودهليز ومخبأ، تجأر فى طلب التطهير بالنار المحرقة مما دنسها من مخاز من إسماعيل الفاجر إلى فاروق الداعر؟

من الشــعراء يا صــديق الشاعر من يعيش بنصف وجدان، وثلث حس، وربع شــعور، وجزء من بصر وسمع، وبعض جزء من الوعى والإدراك. هــل أنت من هذا النوع من الشــعراء، أو مجرد حتى من الكليات والجزئيات، أو أنك مستجم فى قوقعــة تنتظر وسوســة شيطان؟

عهدنا لــكل شاعر شــيطانا يوحى إليــه الشعر، ألم يجل فى خاطرك يا صديق الشاعر أن تستلهم الرحمن الرحيم مرة نظم القوافى، أو أنهما تركاك كما مهملا ونبذاك قصيا لا تصلح إلا لتعيش بنصفك البشرى الأسفل؟

أقلب الصحف اليوميــة والأسبوعية والشهرية أيضا فلا تتعــثر قدماى بشاعر أو نصف شاعر أو شويعر واحد حى يعيش بين الأحياء فى هذ العصر!

ليس فى شــعراء مصر اليوم من يعيش مع «نجيب محمد» ولا أقول محمــد نجيب، لأن الشعر قد مات بعــد شوقى وحافظ

هل أقول إن دولة الشعر دالت كما دال عرش فاروق، أو أنى إذا تلمست وفتشت وفى يدى مصباح ديوجين أجد «محمود عماد» آخر بين الشعراء الأحياء؟

حبيب الزحلاوى

بـــلزاك

للكاتب الكبير ستيفان زفايج

للأستاذ على كامل

(يعتبر ستيفان زفايج من أعظم كتاب التراجم المعاصرين كما أنه فى مقدمة كتاب القصة . وكتابه عن القصصى الفرنسى الخالد أونوريه دو بلزاك من أحسن ما كتب عن الأديب الكبير . ولقد كان كتاب « البرازيل أرض المستقبل » هو آخر كتاب أصدره زفايج فى حياته . وقد وضعه بعد رحيله إلى البرازيل عام ١٩٤٠ هربا من الطغيان النازى . أما كتابه عن بلزاك فقد مات زفايج منتحرا ، كما هو معروف ، قبل أن يتمكن من نشره وكان قد أعد كل محتوياته . فلم تكد تضع الحرب أوزارها حتى سعى ناشره إلى الحصول على أصوله وتوصل إليها ونظم أبوابها بعد مجهود مضن ثم أصدر الكتاب منذ عهد قريب وكان بذلك آخر كتاب ظهر لزفايج فى عالم الأدب)

كانت والدة بلزاك تصغر أباه باثنين وثلاثين عاما ، ولم يكن زواجها منه عن حب ، بل كان نتيجة إرغام من جانب أسرتها التى رأت فى مركز برنار فرانسوا بلزاك ما يشجع على قبول هـذا الزواج . كانت عصبيـة المزاج حادة الطبع تسئ معاملة ابنها أونوريه . ولم ينس أونوريه ، حتى بعد أن شب عن الطوق وأصبح رجلا وكاتبا تطبق شهرته الآفاق ، إساءات والدته إليه . فقد كتب فى أحد خطاباته إلى آخر عشيقاته وزوجته فيما بعد مدام دوهانسكا يقول : « آه لو عرفت أى نوع من النساء والدتى . إنهـا الرعب والهول مجتمعين . إنها الآن فى سبيل القضاء على شقيقتى بعد أن قضت على جدتى . إنها تكرهنى ، تكرهنى حتى قبل مولدى . إن والدتى هى سبب كل ما حل بى من مآسى الحياة »

ولقد كانت هـذه الحياة العائليـة الشاذة سببا فى أن يكرر بلزاك فى كثير من المناسبات بأنه « قاسى أفظع طفولة رآها إنسان على الأرض » . ولا شك أن هـذه الطفولة المعذبة قد اشتركت فى توجيه مستقبل حياته فيما بعد

لم يكن بلزاك فى حياته المدرسية مجدا . وكان كثيرا ما يشرد بفكره أثناء الدرس ، مبديا عدم الاهتمام بما يلقيه أساتذته من الدروس . وقد نسب هو ذلك فيما بعد إلى أن امتلاء ذهنه بالأفكار جعله يرى فيما يلقى عليـه أقل من المستوى الذى يتطلبـه ذكاؤه وطموحه واطـلاعه ، ذلك الاطلاع الذى انكب عليه كوسيلة للعزاء فى البـداية ، قبل أن يكون وسيلة للتثقيف

وظل بلزاك طول حياته الدراسية محروماً من العطف العائلى حتى بلغ العشرين وحصـل على إجازة الحقوق ، ولـكنه بدلا من أن يسير فى الطريق الذى أهلتـه له دراسته وكما تبغى أسرته ، استيقظت فيـه فجأة الرغبة فى مزاولة حرفة الأدب ، واستطاع أن يقنع أسرته بعد كفاح مستميت أن تمـده بمبلغ من المـال للذهاب إلى باريس ليجرب حظه مدة معينة لا تزيد على سنتين إذا فشل بعدها عاد إلى موطن الأسرة ليزاول الحياة التى أهلتها له دراسته القانونية

ورحل بلزاك إلى باريس ؛ وأقام فى رقم ٩ شـارع ليديجويير فى غرفة فى سطح المنزل ، غرفة صغيرة تعافهـا النفس ، اختارتها له والدته بنفسها خصيصا لتبغض إليـه الحياة التى يطمع فيهـا . بيـد أن بلزاك احتمل حيـاته الجديدة بعزم وعناد . فكان ينظف الغرفة بنفسه ويذهب لشراء الطعـام الرخيص كل يوم حتى يوفر ما تكلفه إياه المطاعم . حتى المـاء كان يذهب لإحضاره من نافورة سان ميشيـل كى لا يتكلف ثمن شرائه . ولم يكن كل ذلك ليثبط من عزيمتـه ، وكان يتعزى عن شقائه بالتطلع من نافذة غرفتـه الصغيرة إلى أضـواء باريس ، متـأملا سحرها ، حالما بذلك المجد الأدبى الذى يصبو إليه ليكون اسمه علما بين كتاب تلك المدينة التى أضاءت سماءها أسماء أعاظم رجال الأدب والفـكر فى مختلف العصور

فإذا ما أراد بلزاك أن يخرج من سجن غرفتـه ذهب إلى الأحياء الشعبية يتأمل ساكنيها ويدرس نواحى الحياة

بين أرجائها . وكان لا يجد غضاضة أو غرابة أثناء تجواله إذ كانت ملابسه كما يقول ، لا تلفت إليه الأنظار لأنها لا تفترق فى بساطتها عن ملابس العمال والبسطاء من ساكنى تلك الأحياء ، فوق أن مشاعره كانت تتجاوب مع مشاعرهم ، فيرثى لضروب تعاستهم ، متضامنا وإياهم فى سخطهم على رؤسائهم الذين يستبدون بهم ويرهقونهم فى مقابل لقمة العيش . ولقد كانت هذه الفترة من حياة بلزاك حاسمة فى تحديد تفكيره وإدراكه لنفسية الطبقات الكادحة وما يختزن فيها من مواهب إذا اكتشفت وأحسن توجيهها أخرجت للنور الكتاب والمخترعين والفنانين وسائر القادة فى مختلف ضروب الفكر الإنسانى

وانقضى شهران دون أن يعرف بلزاك ماذا يكتب وقد تكدست فى ذهنه المشاريع المختلفة . وأخيرا استقر رأيه على كتابة مأساة شعرية بعنوان (كرومويل) فبدأ توا فى كتابتها وكان يريد أن ينتهى منها سريعا قبل أن تجئ إليه والدته لتحاسبه على ما أعطته من نقود وعلى ما إذا كان قد استطاع أن يوفى بوعده فى أن يصبح أديبا ؟ ! وانهمك بلزاك فى الكتابة وحيدا فى غرفته ، لا يغادرها مرة كل بضعة أيام حتى انتهى منها . وحمل بلزاك مأساته إلى أسرته واتفق الجميع على عرضها على صديق للأسرة ملم بأصول الأدب والنقد . وبعد أن قرأها أبدى رأيه بعدم صلاحيتها . ولم يحاول بلزاك أن يناقش أو أن يحرج كبرياءه بعرضها على أشخاص آخرين أو على أحد المسارح فألقى بها فى زاوية مكتبه ولم يخرجها من مكانها حتى مماته !

على أن هذه المسرحية : رغم فشلها ، قد أنالته شيئا من الثقة من جانب والدته فى أن يكون يوماً من الأيام أديبا يلمع اسمه بين رجال الأدب فى فرنسا

لم ييأس بلزاك من عدم نجاحه فى عمله الأدبى الأول . وكان إيمانه بنفسه كافيا لأن يدفعه ليواصل صراعه . لكن المشكلة الكبرى التى أمامه الآن هى أن المال الذى منحته إياه أسرته يوشك أن ينفد ، ولذا يجب أن يجد طريقة للحصول عليه حتى يستطيع أن يبقى فى باريس ويواصل هذا الصراع . وأخيرا اتفق مع أحد أصدقائه ويدعى أوجوست لو بواتفان على أن يتعاونا معا على كتابة قصص يوقعانها باسم مستعار

وانتقل بلزاك من غرفته إلى المنزل الذى كانت تسكنه شقيقته لور بعد أن هجرته بعد زواجها وجعله مقرا له يكتب فيه القصص المتوالية بمعاونة صديقه أوجوست . ولا شك أن هذه الفترة من حياة بلزاك لا تشرف تاريخه الأدبى . فقد كان يسعى إلى كتابة أى نوع من الكتابة سواء كان قصصاً أو غيرها ما دام يدر ربحا ماديا . وكان يلجأ إلى اقتباس الموضوعات من أى مصدر يصادفه . ولقد كان عذره الوحيد أمام ضميره فى ذلك الوقت هو السعى لأن يكسب حياته بأى سبيل حتى يستقل عن الحاجة إلى معونة أسرته ، وليستطيع البقاء فى باريس تمهيداً لمجده الأدبى الذى لم يتنازل عن العزم على الوصول إليه . ولقد أدى هذا التهافت من بلزاك على كسب حياته بأية طريقة إلى أن لا يتروى فى كتابته فكان يؤجر قلمه لكتابة كل ما يطلب منه فى مقابل أجر معلوم . ولم يغتفر له مؤرخو حياته فيما بعد هذه الزلة التى استمر عليها بضعة أعوام رغم سعيه إلى تبريرها بمنطقه البليغ وقدرته الفذة فى الإقناع

على أن أعجوبة بلزاك الكبرى أنه رغم هذا الإسفاف الأدبى خلال تلك السنوات قد استطاع أن يتطهر منه فيما بعد ، وأن يكون فى أدبه عالى الضمير ، يتأنق فى فنه ويعيد تصحيح ما كتب بعد إرساله إلى المطبعة عدة مرات حتى ضج منه الناشرون إلى درجة أن قاضاه بعضهم من أجل ما يتحملون من نفقات نتيجة تصحيحاته وتغييراته التى لا تنتهى

وبلغ بلزاك الثالثة والعشرين وهو فى أوج كفاحه المضنى بمعاونة صديقه أوجست فى سبيل التحرر من إعالة أسرته والبقاء فى باريس . وإلى هذه السن لم يكن يعرف

عن العلاقات النسائية شيئا . فقد كان شديد الخجل ، مهمل الهندام ، لا يجذب إليه نظر الجنس الآخر لبداته وبعده عن كل جاذبية وانطوائه على نفسه . ولطالما شعر بالألم عندما كان يرى شبانا فى عمره يعبرهم أقل منه ذكاء وشأنا فى صحبة فتيات جميلات لا يستطيع هو أن يصل إلى معرفتهن . وفى ذات يوم هيأت له الظروف رؤية مدام دوبيرنى صديقة عائلته وكانت فى عمر والدته إذ كانت فى الخامسة والأربعين بينما هو فى الثالثة والعشرين . فوقع فى غرامها وظل يمطرها بخطاباته الملتهبة . ورغم صدها له فى البداية فقد انتهى الأمر بها إلى الاستسلام والسماح له بلقائها ذات ليلة فى منزلها فتحقق له حلم فى التمتع « بتلك الليلة الصاخبة الممتلئة باللذة ، تلك الليلة التى لا يستطيع التمتع بها إلا مرة واحدة ذلك الطفل الذى بلغ مرحلة الرجولة والتى يسعد بها عندما يصادفها لأول مرة فى حياته »

ولقد دامت صداقة بلزاك لمدام دوبيرنى قرابة عشر سنين . وحتى بعد هجره لها وإنشائه علاقات أخرى مع غيرها فقد بقى وفيا لذكرى صداقتها ، يراسلها بين وقت وآخر ويسترشد بآرائها . فقد كان يرى أن على يديها وحدها تفتحت أمامه أبواب السعادة النفسية وعرف الحب الأول مرة فى حياته وفى وقت بلغ به اليأس مبلغا جعله يفكر فى أن الموت هو السبيل الوحيد للخلاص من عذابه

ولقد كان التفاوت الكبير بين عمريهما مما سهل التغلب على سذاجته العاطفية ومشكلة خجله المرضى . ألم يكن يتمثل مدام دوبيرنى أمام ناظريه حين قال كلمته الخالدة : « ليس إلا الحب الأخير للمرأة الذى يستطيع أن يرضى الحب الأول للرجل » ؟ ! ولقد رسم هذا الحب الأول لبلزاك طريق ميوله الغرامية طول حياته ونوع المرأة التى تستطيع فى نظره أن تملأ فراغ قلبه وتروى ظمأ حواسه الملتهبة المتدفقة ؛ فالحبيبة النموذجية فى نظر بلزاك هى تلك المرأة التى تخطت الثلاثين والتى تكون منه بمثابة الأم لطفلها المدلل ، تغمره بعطفها وتحنو عليه وقت الشدة ، وتمده بالمعونة المالية وقت الحاجة . هى تلك المرأة الواعية التى ترتفع بتجاربها عن الأنانية التى تريد أن تجعل من الرجل وسيلة لا غير لتحقيق أطماعها وإطفاء لهيب نزواتها . هى تلك المرأة التى أوشكت بحكم سنها ان تفقد الأمل فى صداقة جديدة والتى تشعر بالسعادة الحقة إذ أتيحت لها تلك الفرصة النادرة التى تشعرها بأنه لا يزال هناك من الرجال من يعجب بها ورغب فى صداقتها . وما بطلتا قصتى (المرأة المهجورة) و (المرأة ذات الثلاثين ربيعا) إلا صورتان عن بطلات حياته الغرامية اللواتى خلدهن فى قصصه العديدة ومنحهن حق التمتع بالحياة رغم العرف السائد فى ذلك الوقت على الخصوص الذى يحرم عليهن بعد هذه السن التمتع بهذا الحق

ولقد كانت هذه الصور الخالدة للمرأة التى تخطت الثلاثين فى قصص بلزاك سببا فى أن يخلق حوله طبقة من المعجبات لم يتمتع بها غيره من كتاب القصة فى القرن التاسع عشر . وفى جو هذه الصور الحية كان بلزاك يبشر بفلسفته الجديدة على لسان أبطاله كقوله « إن المرأة ذات الأربعين تعطيك كل شئ . أما ذات العشرين فلا شئ إطلاقا » . ولقد طبق بلزاك طوال حياته الغرامية هذه العقيدة فكان « شديد الكره للفتيات » لأنهن يأخذن كثيرا ويعطين قليلا . كما أنه لم يلجأ إطلاقا فى علاقاته إلى بائعات الحب أو إلى ذلك النوع من الغانيات اللعوبات المغرورات . وما كانت صداقته بعد مدام دوبيرنى كصداقته لدوقة ابرانتيز ومدام ريكامييه ومدام رولـا كارو ودوقة كاسترى ثم أخيرا مدام دوهانسكا إلا تطبيقا لتلك العقيدة التى كونها لنفسه على ضوء حبه لمدام دوبيرنى وهو أن تكون المرأة له أما وشقيقة وصديقة وعشيقة فى وقت واحد ، يلوذ بها أيام المحن والكوارث فتغمره بتشجيعها وسلواها وتهرع إليه فى ليالى الشقاء كما كانت تفعل مدام دوبيرنى التى كانت « تأتى إليه كل يوم كما يأتى النوم الكريم يسكن وقر الآلام »

***

بقى بلزاك حتى الثلاثين من عمره يكافح بعناد دون أن يخرج عملا أدبيا ذا قيمة إلى أن أصدر أول قصة طويلة له (التعويذة) la feau de chagrin فكانت فتحا جديدا في الفن القصصي من حيث قوة التحليل ودقة الوصف وكان نجاحها بداية فجر مشرق . فمنذ ذلك الوقت رسم بلزاك لنفسه هدفا رئيسيا لموضوعات قصصه وهي أن تكون دراسة للمجتمع بكافة نواحيه يختلط فيها كل من الغنى والفقر، السعادة والشقاء، الطبقة العليا والطبقة السفلى، قوة المال وضعفه، وبالاختصار كل ما يعج به المجتمع من متناقضات . ذلك أن بلزاك كان يعتبر أن هذه المتناقضات أشبه ما تكون بالعناصر الكيميائية التي يتوقف كل منها على الآخر . فثراء طائفة من الناس سببه فقر الآخرين . والفقر المميت لا ينتج إلا لأن البعض قد استحوذ على معظم الثروات .. وسعادة البعض كثيرا ما تكون على حساب تعاسة الآخرين وهكذا . ولقد كانت حياة بلزاك الخاصة في باريس وما عركه بنفسه بين مختلف طبقاتها هو المصباح الذي أرشده إلى حقائق المجتمع الإنساني في عصره . وما قصصه (الأوهام الضائعة) و (لويس لامبير) و (سيزار بيروتو) و (الأب جوريو) و (أوجيني جرانديه) وغيرها إلا ثمرة دراساته الشخصية وحياته العاصفة التي جعلت منه الأديب المؤرخ لعصره والمصور الصادق والطبيب البارع للمجتمع الباريسي الصاخب والمجتمع الإنساني بوجه عام

ولقد استطاع بلزاك خلال هذا الكفاح العنيف في سبيل تأدية رسالته وفي سبيل « أن يحقق بعلمه ما حققه نابليون بحسامه » كما قال — أن يكتب في مدة عشرين عاما — عدا المسرحيات والمقالات والقصص القصيرة — أربعا وستين قصة طويلة وأن يخلق في هذه القصص التي شخصية إنسانية، كل منها نموذج قائم بذاته للطبيعة البشرية بفضائلها ورذائلها، محققا بذلك حلمه في أن يرسم صور المجتمع الإنساني بكافة ألوانه وطبقاته في قالب قصصي في سلسلة أطلق عليها فيما بعد ذلك العنوان الخالد على الدهر (المهزلة الإنسانية)

ولقد ارتفع بلزاك بإنتاجه الأدبي إلى أن يكون كما كان يتمنى « على رأس الحياة الأدبية في أوربا » وأن يكون « خليفة بيرون ووالتر سكوت وهوفمان » . والواقع أن بلزاك قد فاق الأدباء الذين كان يتخذهم في شبابه مثلا أعلى له ؛ فقصته (لويس لامبير) التي تعتبر أعمق وأقوى ما كتب كانت بمثابة فتح جديد في الفكر الأوربي عندما كشفت العلاقة الخفية بين العبقرية والجنون قبل أن يكتشفها علماء النفس في أوائل القرن العشرين بعشرات السنين . ولقد كان بلزاك يريد أن ينافس بقصته (لويس لامبير) قصة (فاوست) للكاتب الألماني جوت ! ورغم أنه وصل إلى ما يبغي إلا أننا ندهش حين نعلم أن بلزاك كتب قصته في ستة أسابيع بينما لم يفرغ جوت من كتابة (فاوست) إلا بعد ستين عاما من بدئه فيها

وإذا كان بلزاك لم يحقق كل حلمه ولم يتم برنامجه إلى آخره فقد حقق معظمه وكتب أربعة أخماس (المهزلة الإنسانية) قبل أن يعاجله الموت في الثانية والخمسين . بيد أن بلزاك قد دفع الثمن غاليا من صحته التي أنهكها السهر الطويل المضني . ولعل العجب يتولى كل من يعرف طريقته في العمل التي تفوق طاقة البشر ! إذ كان يقضي في كثير من الأحيان أسبوعين أو ثلاثة أسابيع لا يغادر أثناءها شقته الصغيرة في شارع كاسيني . وكان يبدأ الكتابة عند منتصف الليل حتى إذا ما طلع الصباح تناول إفطاره ثم شرع في تصحيح النماذج التي ترسلها إليه المطبعة فيغير وينمق وكثيرا ما يعيد كتابة صفحات بأكملها . فإذا ما حل المساء لجأ إلى سرير نومه حتى منتصف الليل ليستيقظ ويواصل الكتابة . ولقد ذكر طبيبه وصديقه الدكتور نا كار أن سبب موته يرجع إلى أن قلبه كان متعبا بسبب الإرهاق في العمل والمبالغة في شرب القهوة ليستعين بها على مقاومة النوم . ولقد أحصى أحد المقربين إليه عدد فناجين القهوة التي احتساها في حياته فبلغ خمسين ألف فنجان !!

* * *

ولقد كان موت بلزاك مأساة أخرى تختتم بها مآسى طفولته المعذبة وكفاحه الفكرى العنيد . كان منذ سنوات قد وقع فى غرام مدام دوها نسكا . وكانت سيدة روسية غنية متعجرفة تتعالى عليه وتعتز بأصلها الأرستقراطى وتجعل من صداقتها له ملهاة لغرورها . وكان بلزاك لسوء حظه ضعيفا مع النساء ، شديد الإحساس بالنقص تجاه كل سيدة رفيعة المقام : وبسبب هذا الإحساس تضخمت فى ذهنه فكرة الزواج من مدام دوها نسكا لما سيناله بزواجها من شرف ومال فيحقق بذلك حلمه القديم فى الحصول على « امرأة وثروة » تستقر بها حياته المضطربة ليتفرغ بعد ذلك فى هدوء لإتمام رسالته الأدبية الضخمة

وكان زوج مدام دوها نسكا عندما تعرف عليها بلزاك لا يزال على قيد الحياة . فظل بلزاك صبورا على علاقته بها سنوات حتى مات زوجها وحانت بذلك فرصة الزواج . إلا أن مدام دوها نسكا كانت تسوف فى وعدها ، مختلقة الأعذار دون أن تقطع علاقتها بالكاتب الكبير الذى كانت رفعة مكانته الأدبية فى أوروبا بأسرها تضفى على من تصادمه وجلا مثله هالة من الرفعة والمكانة

وكانت صحة بلزاك قد أخذت فى الانهيار وأجمع الأطباء على أن حالة القلب لديه لا تسمح له بحياة طويلة . عندئذ . وعندئذ فقط وافقت مدام دوهانسكا على أن تحقق للرجل الذى صبر السنين الطوال وعفر وجهه فى الثرى تحت قدميها لينال يدها الأمنية الكبرى التى يجيش بها صدره . فما الذى ستفقده بهذا الزواج وقد أجمع الأطباء أنه لما يبق له فى الحياة إلا شهور معدودة !

وسافر بلزاك إلى روسيا رغم اعتلاله ليعقد أخيراً زواجه فى مارس عام ١٥٨٠ فى هدوء وصمت تحقيقاً لرغبة مدام دوهانسكا التى كانت تعتقد أن فى هذا الزواج انتقاصا من مقامها . ولهذا كتب العقد بغير احتفال ولم يشعر به أحد ولم يدع إليه إنسان وتمت مراسيمه فى الساعة الرابعة صباحا قبل أن يستيقظ النيام من نومهم !

وفى مايو بدأ الزوجان رحيلهما إلى باريس ليقيما فى ذلك البيت الذى ظل بلزاك منذ وقت طويل يعده فى شارع فورتونيه بكافة ألوان الترف والنعيم فى انتظار ذلك اليوم الموعود . وكانت الرحلة شاقة على صحة بلزاك حتى خيف ألا يستطيع أن يتمها سالما ، ذلك أنه لم يكد يصل إلى درسدن حتى انهارت قواه وتضاءلت قوة إبصاره ولكنه قاوم إرادته. فكل ما يأمله الآن هو أن يصل مع مدام دوهانسكا إلى منزل فورتونيه ليعيش فيه بين ذراعيها ولو بضعة أيام

وقبل أن يصل بلزاك إلى باريس كان قد أرسل بكل تعليماته إلى والدته التى كانت تقوم بكل الترتيبات فى منزله الجديد . فطلب منها ألا تكون بالمنزل عند وصوله إليه لأنه يعلم أن مدام دوهانسكا لا تريد رؤيتها . كما طلب أن يكون فرانسوا خادمه الخاص فى انتظاره أمام المنزل بعد أن يضئ جميع أنواره . وعندما وصل الزوجان أمام المنزل الموعود لم يجد بلزاك فرانسوا فى انتظاره فظل يطرق الباب دون مجيب . وانتظرت مدام دوهانسكا فى العربة حتى استدعى أحد المختصين لفتح الباب عنوة . وعندما دخل العروسان وجدا فرانسوا فى إحدى الغرف وقد أصابه الجنون فجأة فنقل فى نفس الليلة إلى إحدى المصحات

كان حلم بلزاك أن يعيش فى هذا المنزل خمسة وعشرين عاما يكتب أثناءها خمسين كتابا يتم قائمة مؤلفاته التى تكون (المهزلة الإنسانية) والتى يبلغ مجموعها مائة وأربعة وأربعين مؤلفا . وكان قد أعد لذلك غرفة مكتب فاخرة إلى جانب غيرها من الغرف الحافلة بأفخم أنواع الأثاث؛ فإلى أى مدى تحقق هذا الحلم ؟ لم يخط بلزاك حرفا فى غرفة المكتب الفاخرة . ولشد ما يبدو أن بلزاك كان يحس بما يخبئه له المستقبل النادر فجعل من نفسه ومن أحلامه الفاشلة الشخصية الرئيسية لقصته (الأوهام الضائعة)

نعم ! لقد أراد القدر أن يأتى بلزاك إلى هذا المنزل ، موطن خياله الذى صبر من أجله طويلا ، لتنهار صحته نهائيا بمجرد وصوله . فمنذ اليوم الأول لم يعد يقوى على

وفاء طائر

للأستاذ أحمد زكي أبو شادي

كان شقيق الكاتب الشــهير و . ه . هدسن W. h. hudson يمتلك مزرعة منفردة فى الأرجنتين . وكان ينفق كل عام أربعة أشهر فى السهل بكوخ وحيد . وكان يرى فى شهر أغسطس أفواجاً عظيمة من إوز التجود طائرة نحو جزر الماجلانيك the magellanic isles فى الجنوب. وفى أحد الأيام بينما كان راكباً رأى زوجاً من الإوز عشيان كأنما تخلفا عن فوج رحل ، وكانت الأنثى ذات ريش بنى والذكر أبيض الريش . وكان الذكر يرفرف أمامها ، طائراً بين حين وآخر نحو مائة ياردة ثم يعود إليها ويسارها . كانت الأنثى كسيرة الجناح ، فأبى الذكر أن يتخلى عنها ، ولو أن خاتمتها المحتومة لا ريب فيها ، إذ لا بد من أن تنقض عليها الطيور الجارحة ، ولا مفر فى النهاية من طيران رفيقها بمفرده إلى الجنوب

* * *

الأدب الأديب من عاش للفن ومن صاحب الحياة وفيا
من تملى كل الذى وهبته وتغذى به قريراً مريا
ما تحاشاه مرة كيفما كان ، ولو فاض لوعة بالمآسى
ينعم الفن بالمآسى وحيناً يجزع الفن من جبور الناس!

* * *

وهو عند الحالين يسعده الصدق بمرأى الوجود أو تفسيره
مثلما يزدهى بتعبيره الحر وإن مض فى مدى تعبيره

* * *

هكذا كان حال حر أديب ... سكن الكوخ فى البرارى وحيدا
حين أوفى الخريف أو كاد والوز أتى راحلا ليمضى بعيدا
هارباً من تهجم البرد كالحق إذا شـاء قتله الباغونا
طامعاً فى الجنوب دفئاً وحبا آبياً أن يخان أو أن يخونا
وبيوم رأى من الوز زوجا قد تخلى عن فوجه وتبقى
سائراً كالذى تقيد بالماضى وقد خاف تركه حين رقا !
تلك أنثى بريشها الأسمر الفخم تمشت كسيرة للجناح
حينما خلها ترقرق فى النور بياضا كأنه من أقاح
كان يمشى مرفرفا قبلها حينا وحينا يعود رهن خطاها
آبيا أن يفوتها وهو يدرى بشعور مؤصل عقباها
إذ من الحتم موتها حين تهوى فوقها تلكم الجوارح يوما
حين تلقى ظلم النهاية فى العيش وإن لم يعد للعيش ظلما
ومن الحتم أن يعود وحيدا لاحقا بالقطيع نحو الجنوب
مفنيا عمره حزينا كقربان ، كموت الضياء عند المغيب !

* * *

هكذا شاهد الأديب المآسى صامتات ومفصحات أمامه
فطوى قلبه عليها شجونا ورأى فى شجونها أيامه !

نيويورك أحمد زكى أبو شادى

— من كتاب System of Animate nature الجزء الأول المطبوع سنة ١٩٢٠ م من تأليف O.A. Thomson

---

القراءة أو الكتابة ، ولم يلبث أن لزم فراشه لا يستطيع منه حراكا . وعندما أقبل ملاك الموت فى ليلة ١٧ أغسطس ١٨٥٠ لم يكن بجواره إلا والدته فقد كانت زوجته مدام دوهانسكا قد غادرت المنزل قبل ذلك بعدة أسابيع

ودفن بلزاك فى مقبرة بيير لا شيز . تلك المقبرة التى كان يحبها والتى طالما تأمل بطله راستنياك من أعلاها إلى باريس التى تحدى جبروتها وسطوتها . ورسم جمالها وتعاستها ، وخلد عبقريتها على صفحة الفكر البشرى ليتغنى بها الأبناء جيلا بعد جيل

علي كامل

شعر مختار

خريف ...

الى من كنت أراها كل صباح .. مستندة الى شجرة حاملة حقيبتها المدرسية فى انتظار العربة

للأستاذ محمد محمود عماد

ويمك أين يا شجره ؟ أراك .. ولا أرى أثره
أرى عشا .. ولا طيرا أرى غصنا .. ولا زهره
وأين فتاتك العذرا ء ... أين اليوم منتظره
فتاتك .. هل ذكرت لها بظلك وقفة خفره
وقد مستك نضرتها فكنت بقربها نضره

* * *

فتاتك .. هل ذكرت لها بجنبك ميلة حذره
فكانت فيه . وهو بلا ثمار .. خير ما ثمره
وقد ألقت حقيبتها إلى خصر ثنى وتره
وما فى الكتب .. نعلمه وما فى القلب .. من خبره ؟
خريف فيك .. أم حزن حى أيامها العطره ..

* * *

ويا من كنت أرقبها مصبحة ... ومبتدره
صباحك كنت ألقاه كما يلقى امرؤ يسره
صباح كان يستجلى صباح الخير .. من نظره
وقبل طلوعه سحر يطالع من يرى سحره
ترى لو عاد للدنيا ربيع ... عدت للشجره ؟

محمد محمود عماد

أحلام العصفور الأخضر

للشاعر عبد المنعم عواد يوسف

نشوان يحلم بالدفء الكامن فى قلب الغابه
فهناك العيش وبهجته وهناك يقابل أحبابه
والشمس تبعثر أنوارا
والورد تنفس أعطارا
والعشب تبسم أزهارا من أجل العصفور الأخضر

* * *

وهناك الزنبقة الوسنى حسناء الطلعة عذراء
سيروح ويلثم وجنتها مسرورا والكون غناء
والصبح تثاءب وسنانا
نشوان ينفث ريحانا
والطير يوزع ألحانا يعنا بالعصفور الأخضر

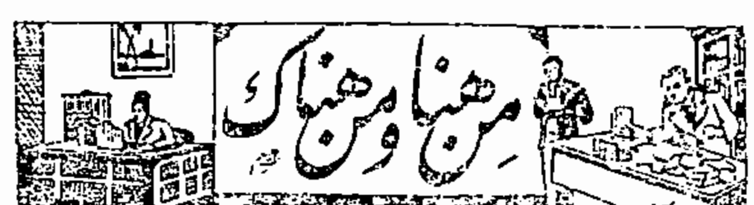
* * *

أشواق العاشق أزهار والحب يرفرف منسابا
والطل مدامع رهبان قد تخذوا الدوحة محرابا
والوجد صلاة ودعاء
وتوسل صب وبكاء
والصبح الحالم أصداء لصلاة العصفور الأخضر

* * *

همهمة الغابة أدعية وغناء الطير تراتيل
والدوحة معبد أرواح ونثار النور قناديل
والراهب فى إغفاءته
تصغى الأزهار لأنته
فيهز الروح بصيحته لدعاء العصفور الأخضر

عبد المنعم عواد يوسف



الاتجاهات الحديثة في الأدب الانجليزي

استعرض (ف . س . بريتشت) الناقد الأدبي لمجلة (نيوستيتسمان اند نيشن) الإنجليزية الاتجاهات الحديثة في الأدب الإنجليزي فأبى أن يعترف بأن هناك اتجاها أو اتجاهات معينة تشوب الإنتاج الأدبي في الجزر البريطانية . والواقع أن المستر بريتشت حذر من دراسة الأدب على أساس « الاتجاهات » . وقال إن الروائع الأدبية في معظم العصور الأدبية لم تكن جزءا من اتجاه أدبي معين وإنما كانت وليدة الإبداع الفني الخالي من أي اعتبار آخر

وذكر المستر بريتشت على سبيل المثال ثلاث قصص من أروج القصص في بريطانيا اليوم تعالج موضوعات مختلفة لا يمكن أن ترتبط باتجاه معين في حاضر الأدب الإنجليزي . من هذه القصص « prisoner of grase » من تأليف القصصية المعروفة (جويس كيري) ، وهي قصة تعالج الحياة الخاصة والعامة لأحد رجال السياسة البريطانية في عصر الملك إدوارد . ومنها قصة من تأليف (بازيل دافيدسون) بعنوان « The golden horn » ومحورها الجاسوسية في منطقة النفوذ السوفيتي

إلا أن المستر بريتشت يقول بأن في السوق الأدبية رواجا للقصص التاريخية — وهذا لا يعني أن هناك اتجاها معينا بين الأدباء الإنجليز لمعالجة التاريخ في قالب قصصي . ويشهد المستر بريتشت لقصتين من هذا النوع بالتفوق الأدبي والإبداع الفني . هما « The golden warrior » من تأليف (هوب مونتز) و The man on a donkey للكاتب المعروف (هـ . ف . م . بريسكوت) وهي صورة فنية ممتعة للحياة البريطانية في عصر الملك هنري الثاني

والاتجاه الوحيد الذي يعترف به المستر بريتشت يتصل باللغة — وعلى الأخص لغة الترجمة — فقد شاع في الأوساط الأدبية الإنجليزية في الآونة الأخيرة اتجاه واضح لإعادة ترجمة الروائع الأدبية الكلاسيكية في لغة مبسطة يصفها المستر بريتشت بأنها أقرب إلى الابتذال اللغوي منها إلى البساطة وسهولة التعبير . ويضرب مثلا على ذلك بالترجمة الجديدة « لفاوست » التي أفقدت هذا السفر النفيس كثيرا من جلاله الأدبي وروعته الفنية . وكذلك الترجمة الجديدة لأنيادة فرجيل التي لم تضمن للنص الأصيل جلالته الفنية

وهذا الميل إلى تبسيط الروائع الكلاسيكية بلغة المكالمة الحديثة لم تقتصر على المترجمات من روائع الأدب الأجنبي وإنما شملت الأدب الكلاسيكي الإنجليزي نفسه . فهناك نشاط أدبي لإعادة كتابة « قصص كنتربري » ، وهناك رغبة لدى بعض الكتاب ودور النشر للاعتداء حتى على حرمة الأدب الشكسبيري . وإذا علمنا أن المستر بريتشت يكتب لمجلة يسارية عرفت بآرائها المتطرفة في السياسة والأدب أدركنا مبلغ استيائه من هذا الاتجاه لتبسيط لغة الروائع الكلاسيكية على حساب قيمتها الفنية

حاضر الأدب الهندي

نشرت جريدة النيويورك تايمس في ملحقها الأدبي استعراضاً سريعاً لاتجاهات الأدب في الهند بقلم أحد الهنود . جاء في هذا البحث أن من غير الصواب تصنيف الأدب الهندي على أنه « وحدة أدبية » تنطوي على ما تنطوي عليه الوحدات الأدبية في الثقافات الحية من اتجاهات وتيارات . وذلك لأن الإنتاج الأدبي في الهند يصدر في عدد كبير من اللغات المحلية المتفرعة من السنسكريتية

ويؤكد واضع البحث أن حاضر الأدب في الهند لا يشير إلى ازدهار ؛ فالازدهار صفة لازمت عصور الأدب الهندي التي سبقت عصرنا الحاضر ، فلم يقو كتاب الجيل الجديد في الهند على منافسة نتاج رابندرنات طاغور

ومسرحياته ، وقصص (سارات شاترجى) وغيرها من أئمة الأدب فى الجيل المنصرم

ويعلل الكاتب أسباب هذا القصور بأن الجيل الذى يمثله طاغور كان يرزح تحت أعباء عاطفية شديدة — أعباء الصراع لتحقيق الحرية السياسية — مما فرض عليه انفعالات قوية للتعبير عن صور الحياة ومشاكل النفس والمجتمع فيما عبر عنه ذلك الجيل من شعر وقصص ومسرحيات

ومع هذا التبرير لا يجد هذا الكاتب عذراً للجيل الجديد فى تقصيره عن الإبداع الفنى . خصوصا وأن لديه موردا غزيرا من تراث جيل طاغور والأجيال التى سبقت ومن ذخائر الثقافة والأدب الإنجليزى الذى يحتل الآن مكان الصدارة كمورد للغذاء الفكرى فى الهند

ويشير الكاتب إلى أن أبرز كتاب الجيل المعاصر ، الذين يحملون تراث الأجيال السابقة ويبشرون بها هو الأديب الهندى الكبير (سوميترا براساد بانت) ، وهو يكتب بالهندية hindi ويتعمد تصوير ألوان من حياة الطبقة الكادحة

وهناك القصصى البنغالى (جوبال هالدار) الذى لقيت قصصه الطويلة وأقاصيصه القصيرة رواجا كبيرا . ويقول واضع البحث إن الإبداع الفنى لدى هذا القصصى البنغالى محدود ، وإنتاجه يدور فى إطار فنى جماله وروعته لا تتعدى صورا قليلة العدد ، يميل الكاتب إلى تكريرها فى معظم إنتاجه الفنى

ويمثل هذا العرض يصف واضع البحث إنتاج القصصى الهندى المعروف (ياشبال) الذى « يجد لقمة الخبز فى كل مشكلة وحالة من حالات النفس ومجتمعها »

ويقول الكاتب إن هيمنة التفكير السياسى على الأدباء والمثقفين فى الهند جعلهم مغرمين بالأدب السياسى أكثر من أى لون آخر من ألوان الإنتاج الفكرى . ولذلك فإن حاضر الأدب الهندى يطفح بالدعوات المقتبسة من أنظمة الفكر المعاصرة التى تتطاحن الآن فى المعترك الدولى

وفى مجال الشعر يسيطر (مايثيلى ساران جوبتا) على زعامة القريض . فهو لا يكتب إلا شعرا . والغريب أنه قادر على الارتزاق من كتابة الشعر الفنى المحض ويعيش فى إحدى قرى الهند . ويتصف شعر (جوبتا) بالمحافظة وتمجيد العقيدة الهندوكية فى ألوانها الدينية والسياسية . ولشعره رنة موسيقية وعمق ، وفيه صورة صادقة لإحساسات المجتمع الهندى التقليدى الذى لم تفسده كثرة الاتصال والتشبه بالثقافة الإنجليزية وغيرها من الثقافات التى تجد فى الهند مجالا للرسوخ . ولهذا الشاعر رأى فى قرض الشعر . فهو يعتقد أن الشاعر يخاطب الروح وأن الفيلسوف يخاطب العقل . وبما أنه شاعر وليس بفيلسوف فإنه يتفادى أن يصوغ قصائده فى قالب فلسفى كما يميل إلى ذلك عدد كبير من الذين يتعاطون نظم القريض فى الهند

ويمتاز الناشئون من كتاب القصة فى الهند بأنهم يقتدون فى مستهل حياتهم الفنية بالاتجاهات التى يمر بها كتاب القصة فى إنكلترا على وجه الخصوص ، وفى أوربا وأمريكا على وجه العموم . فهم يبدأون بمعالجة مشاكل « القلب » والعشق والغرام وألوان الحب من وصال وهجران ، وأكثرهم يستمر فى هذا النوع من الأدب العاطفى ، ولكن البعض الآخر يميل فى سنوات النضوج العقلى إلى الاستفسار عن صلة المرء بالمجتمع الأكبر وأهمية الدور الذى تلعبه الشؤون الروحية فى هذه الصلة

ويروج فى الهند أدب المقال والنقد ، ويقبل عليه القراء بشغف

وللأدب الهندى وجه جديد هو ما كثر فى الآونة الأخيرة إنتاجه من أدب إنجليزى من أدباء هنود ، ولهذا الإنتاج سوق فى الهند وفى خارج الهند

الشعوبية الثقافية وموقف الاتحاد السوفيتى منها

هل تسمح الوحدة السياسية التى تجمع بين مختلف الولايات الأوربية والآسيوية التى تؤلف الاتحاد السوفيتى بنمو الثقافات المحلية لهذه الولايات؟ أم إن الوحدة السياسية

تحمل فى ثناياها الانصهار الشامل لهذه الثقافات المحلية فى بوتقة الثقافة السوفيتية الماركسية وما تنطوى عليه من أسس مرسومة للأدب والفن وشتى ألوان النشاط الفكرى؟

هذا سؤال عالجه مؤخرا بعض الكتاب الذين يتتبعون تطور الأدب الروسى فى ظل الحكم السوفيتى . واتخذوا حاضر الأدب والفن فى أكرانيا (أكبر ولايات الاتحاد السوفيتى الأوربية مساحة وأهمية) نموذجا لأبحاثهم

وقد استعرض أحد الكتاب الأكرانيين المقيمين فى المنفى حاضر الأدب والفن فى أكرانيا فى مقالة ظهرت مؤخرا فى إحدى المجلات الأدبية الأمريكية فقال : انزعجت الحكومة الروسية المركزية للاتجاهات « القومية » الانفصالية التى أخذت تبدو فى إنتاج أكرانيا الأدبى والفنى إثر الرواج الهائل الذى صادفته قصيدة قومية عنيفة نظمها أعظم شعراء أكرانيا المعاصرين بعنوان «أحب أكرانيا» وبلغ من أهمية هذه القصيدة أن كانت موضوع افتتاحية فى جريدة « برافدا » أعظم صحف موسكو اليومية نفوذا وانتشارا . والقصيدة وإن كانت مقصورة على تمجيد التراث الأكرانى والتغنى بمآثره أثارت انتقاد موسكو لأنها لم تصغ فى قالب الأدب السوفيتى ولم تتطرق إلى مدح النهضة الثقافية التى تقول موسكو بأن الماركسية السوفيتية قد نشرتها فى سائر أنحاء الاتحاد السوفيتى بما فيه أوكرانيا

وقد ذكرت جريدة برافدا فى افتتاحيتها عن الشعوبية فى الأدب والفن الأكرانى أن الملامة فى هذه الشعوبية تقع على عاتق الإدارة المركزية للحزب الشيوعى الأكرانى . وقالت « برافدا » إن الاتجاهات البرجوازية التى بدت فى بعض أوساط الفن والأدب فى أكرانيا وأخذت تمجد الثقافة الأكرانية الوطنية متجاهلة الأسس الجوهرية للفكر السوفيتى — هذه الاتجاهات ليست إلا الجهل بأهداف النهضة السوفيتية ومراميها فى تنمية الثقافات الروسية الإقليمية فى الولايات الأوربية والآسيوية التى تصهر الاتحاد السوفيتى فى بوتقة الفكر الماركسى الشامل . وأشارت برافدا إلى أن تسامح موسكو إزاء نمو الثقافات المحلية فى هذه الولايات السوفيتية لايعنى التغاضى عن صهر هذه الثقافات فى بوتقه الفكر السوفيتى الشامل

وانتقدت برافدا كذلك فقدان الكفاية العلمية والأدبية بين زعماء الحزب الشيوعى الأوكرانى وما يتبعه من معاهد علمية ومؤسسات أدبية وفنية ، وأشارت برافدا على سبيل المثال إلى عضوية «أكاديمية العلوم الأكرانية» وقالت بأن ٧٠ فى المائة من أعضائها مفتقرون إلى الثقافة العالية التى توفر لهم القدرة الفكرية لاستيعاب المبادئ الماركسية فى أبواب العلم والأدب والفن

ومن جراء هذه الحملة التى شنتها جريدة برافدا (لسان حال الكرملين فى موسكو) أن أدخلت تعديلات على عضوية اللجان الثقافية التى يوجهها الحزب الشيوعى فى أكرانيا ، ويسيطر بواسطتها على الحياة الأدبية والفنية فى ذلك الجزء الهام من الاتحاد السوفيتى . وقد منعت السلطات فى أكرانيا بإيحاء من موسكو تمثيل أوبرا « بودهان خامالنتسكى » لما تضمنته من تمجيد للقومية الأكرانية . وكانت هذه الأوبرا قد لقيت رواجا منقطع النظير عندما عرضت لفترة قصيرة فى العاصمة الأكرانية

وقد حاول الأستاذ لينوند ماكينوف نائب ستالين فى أكرانيا أن يبرر هذه الرقابة السوفيتية على الإنتاج الأدبى والفنى فى أوكرانيا فأصدر بيانا مسهبا استعرض فيه المنافع الثقافية التى حققتها الإدارة المركزية للحكومة السوفيتية فى أوكرانيا . فقال إن أكرانيا قبل قيام العهد السوفيتى كانت مفتقرة إلى أبسط وسائل التعليم والإنتاج الأدبى والفنى . أما اليوم فإن أكرانيا تعيش فى خيرات ثقافية لا مثيل لها . ففى البلد أكثر من ١٥٨ جامعة ومعهد للدراسات العالية . وفيها ٧٥ مسرحا ودار للأبرا . ولها ٣٦ فرقة موسيقية و ٢٨ ألف منتدى أدبى وثقافى . ويصدر فى أكرانيا ١٢٠٠ جريدة يومية و ٦٤ مجلة أسبوعية وشهرية

هذا لون من الصراع الفكرى فى روسيا السوفيتية لعل فى التعرف عليه نوعا من المتعة والفائدة

محاضرات ومناظرات

حياتنا الاجتماعية على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

ألقى الأستاذ محمد حسن العشماوى وزير المعارف الأسبق بقاعة « يورت » بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الأسبق محاضرة فى هذا الموضوع استغرقت ساعة ونصف ساعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

دعتنى الجامعة الأمريكية لأحدثكم عن المشكلات الاجتماعية التى تتغلغل فى حياتنا ، فأبادر قبل أن أسترسل فى الحديث إلى أن أعلن أننى لست فى هذا الميدان إلا هاويا ولست فيه من المتخصصين . ولقد كنت وقفت من فوق هذا المنبر منذ عامين أبشر الناس بقرب انبلاج فجر جديد يشرق علينا بأوضاع اجتماعية سليمة ، وكان الناس يعجبون لهذا التفاؤل منى لأن الظلام الحالك كان يشملهم ويحيط بهم من كل جانب ، فكنت أجيبهم بأن هذه الحلوكة الشديدة ، وهذا الظلام الشامل هما مصدر تفاؤلى ، فإن الفجر الصادق يجئ عادة على أثر هذه الحلوكة الشديدة !

وإذا رجعتم إلى الوراء قليلا ، إلى ماقبل هذا الانقلاب المبارك رأيتم عجبا ! ورأيتم صورة شائهة ممسوخة للمجتمع فى مصر !

كانت هناك أمة وكان هناك دستور وحكومة وبرلمان ومؤسسات صحية وثقافية واجتماعية وما إلى ذلك . . كان هذا فى ظاهر الأمور ، ولكن الباحث المتغلغل لا يجد وراء هذه الظواهر شيئا ، بل يجد الفساد والجهل والفقر والمرض والظلم الاجتماعى الشديد

يجد نسبة المرضى إلى الأصحاء فى أريافنا هى ٩٦ ./. ويجد نصيب كل ريفى خمسة أمراض ! ويجد العناية تبذل لمواشى هؤلاء الفلاحين أكثر مما تبذل لهؤلاء الفلاحين أنفسهم ، لأنهــا تجلب لأصحاب الثروة مالا يجلب الفلاحون ! .. ويجد ٨٠ ./. من أبناء الشعب لا يقرءون ولا يكتبون ، ويعيشون فى أمية تامة ، ليست أمية قراءة وكتابة فقط ، ولكنها أمية ثقافية وزراعية وصحية وخلقية ودينية ، تسودهم الخرافات وتطمس عقولهم طمسا . ويجد الأرض المزروعة هى $\frac{1}{34}$ من مساحة البلاد ، والشعب يزيد ويتكاثر وهى لا تزيد ، حتى أصبح نصيب كل مصرى ربع فدان فقط ! .. ويجد الدولة وقد حالت دون تصنيع الريف ليظل مزرعة لكبار الملاك الذين يمتصون دماء المواطنين من الفلاحين ليسكبوها ذهبا وخمرا على سيقان الغانيات فى أوربا

تلك بعض مظاهر حياتنا الاجتماعية إلى الأمس القريب ، ولولا يقيننا بأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين لدعونا الله أن يرسل فينا — من جديد — رسولا !! ولكننا اليوم ومنذ هذا الانقلاب المبارك بدأنا فى العلاج ، وعلينا أن نحقق العلاج وسائل نجاحه ، وأن نساعد على استئصال شأفة المرض ، فما هى الدعائم التى يجب أن يقام عليها مجتمعنا الحديث بعد هذه الوثبة الجريئة الجيدة ؟

١ — يجب أن نجعل هدفنا دائما سواد الأمة ، فنضمن لكل فقير غذاء ، ولكل عار كساء ، ولكل مريض دواء ، فلا تظل نسبة وفيات الأطفال ٥٠ ./. كما هى اليوم ، ولا يعيرنا الأجانب بقولهم الشهيرة « إن النساء فى مصر يلدن للقبر ! »

٢ — يجب أن نيسر المرحلة الأولى من التعليم لجميع المصريين على السواء ، وألا تقتصر مدارسنا — كما هى اليوم — على ربع الذين هم فى سن التعليم ويظل ثلاثة أرباعهم هائمين فى الطرقات !

٣ — يجب أن يفرض على الشباب أن يؤدوا للدولة خدمة عامة من أى نوع قبل أن يلوا أية وظيفة ، وأن تحرم عليهم الوظيفة قبل أن يؤدوا هذه الخدمة كما يفعل الكثير من الدول

٤ — يجب أن تفرض التربية الدينية الروحية فرضاً من البيت إلى الجامعة ، فإن مرد كل ما نراه من فساد الضمائر والنفاق والخوف والذل إلى ضعف الثقة بالله وموت العاطفة الدينية القوية فى النفوس

٥ — يجب أن نعنى بالطفولة عناية كبيرة ممتازة ، وأن نعمل بكل الوسائل على تعليم الأمهات مبادئ التربية والتمريض وشيئاً من الثقافة العامة

٦ — يجب أن ننبه الناس إلى أن يلغوا الألقاب والفوارق فى قلوبهم ونفوسهم بعد أن ألغتها الدولة فى الرسميات والبروتوكول ، وأن نلقنهم أن الناس أمام القانون سواء وأنه لا فضل لواحد منهم على أخيه إلا بالعمل الصالح لخدمة الوطن

تعليمنا العام على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

وألقى الأستاذ إسماعيل القبانى وزير المعارف بنفس يوم الجمعة السابق محاضرة فى هذا الموضوع وهى إحدى حلقات هذه السلسلة التى نظمتها الجامعة الأمريكية ، استغرقت ساعة ونصف ساعة كذلك ، ويمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

تحدث الأستاذ المحاضر فى أهداف العهد الحاضر ، وبين أن جماع هذه الأهداف هو الديمقراطية ، وتساءل عن معنى الديمقراطية ، وذكر أنها تنصرف أول ما تنصرف إلى المساواة وإلى الحرية ، واستطرد فقال : —

ولكن ما هى الحرية وقد أسيء فهمها كثيراً ؟ هل معناها أن الناس جميعا يكونون رؤساء لا مرءوسين ؟ أو يصيرون قادة لا مقودين ؟ إننا لو أخذنا بهذا المعنى لكانت الفوضى الشاملة : لأن كل عمل لا بد لنجاحه من القيادة الرشيدة والرياسة الحكيمة التى توفق بين حريات الجميع لتخرج بأعظم نتيجة . والفارق بين النظام الاستبدادى والنظام الديمقراطى أن الجماعة الديمقراطية تعمل لتحقيق أغراض مشتركة بين أفرادها جميعاً وتعمل عن اقتناع بما تعمل ، لا عن خوف ولا عن ضعف ، ولكن عن إيمان بالهدف الذى تسعى لتحقيقه

فإذا فهمنا أن أساس وجود الديمقراطية هو وجود أغراض مشتركة تسعى الجماعة لتحقيقها ، كان لا بد من وجود ميول ودوافع مشتركة بين الأمة جميعها ، ولا بد أن تتفاعل هذه الميول بين أفراد الأمة ، وأن تأخذ وتعطى بعضها من بعض ... فكيف نستطيع إيجاد هذه الميول والدوافع المشتركة التى تتحقق بها الحياة الديمقراطية الصحيحة ؟ لن نستطيع ذلك إلا بأن نتيح قدراً مشتركاً من التعليم لكل أفراد الأمة حتى تصير الأمة وحدة مشتركة ، قدراً يمكنهم من فهم بلادهم ، وفهم القيم والنظم التى تعيش فى ظلها بلادهم ، وفهم الأغراض التى تعمل على تحقيقها .. فما هو القدر المشترك الذى يجب أن نوفره لكافة الأفراد ؟ عندى أنه لا بد أولا من مراعاة طاقة الدولة وإمكانياتها ، وأظنكم تعلمون أن مدارس المرحلة الأولى عندنا تضم مليونا وربع مليون من الأطفال ، وأن ثلاثة ملايين لا تتسع لهم هذه المدارس ، وأن عندنا فى التعليم الثانوى مائة وخمسين ألف طالب ، وفى الجامعات أربعين ألف طالب . وننفق على هؤلاء ٢٧ مليون جنيه كل عام !

فإذا أردنا أن نعلم ثلاثة الملايين من الأطفال الذين لم تتسع لهم المدارس بعد فسنحتاج إلى ثمانين أو تسعين مليونا من الجنيهات ، فكيف إذا أردنا أن نرفع سن المرحلة الأولى حتى نهاية التعليم الثانوى ؟ وكيف إذا أنشأنا الجامعات تباعا فى مختلف عواصم البلاد ؟

يجب أن ننظر طويلا فى طاقتنا وإمكانياتنا ، وألا نسرع بإنشاء المدارس الفجة المبتسرة الناقصة الاستعداد ، يجب ألا تكون سياستنا التعليمية من ساعة لساعة أو من يوم ليوم ؛ وإنما يجب أن ننظر إلى المستقبل البعيد ، وما عدا ذلك فهو خيال ليس المقصود بالتظاهر به إلا خداع الأمة ! وأجاهر بأننا لو استطعنا أن نحقق هذا القدر من التعليم لجميع المصريين فى عشر سنوات لكان نجاحا كبيراً

ويجب ألا يصرفنا هدف عن هدف ، فتنحصر جهودنا على تعميم المرحلة الأولى ولا يصرفنا عنها التعليم الثانوى مثلا ، فإن الطاقة لا تحمل الأمرين معا ، ويجب أن يكون التدرج فى نشر التعليم تدرجا هرميا قاعدته المرحلة الأولى وقمته مرحلة الجامعات ، كما فى إنجلترا مثلا حيث تجدون

فى المرحلة الأولى ٥ر٦ مليون، وفى مرحلة التعليم الثانوى نصف مليون أو أكثر قليلا ، وفى الجامعات خمسين ألفا فقط !
وأحب أن أشير إلى أمرين خطيرين : أولها أن المدرسة الثانوية ليست وظيفتها أن تمد للجامعة فقط ؛ ولكنها تعد رجالا مكونين تكوينا اجتماعيا وروحيا وعلميا يجعلهم عنصرا صالحا للحياة . وثانيهما أن التعليم الجامعى يجب أن يراعى فيه الكيف دون الكم ، والبلاد التى تقدم الكم على الكيف فى التعليم الجامعى إنما هى بلاد تنتحر ! فلن يكون التعليم جامعيا حقا إلا بالتفاعل بين الأستاذ والطالب ، ولن يكون هذا التفاعل إلا إذا كان عدد الطلاب بالقدر الذى يتمكن معه الأساتذة من هذا التفاعل ، وإلا إذا كان الأساتذة أنفسهم معدين أحسن إعداد

ثقافتنا النسوية فى العهد الجديد

وفى يوم الاثنين الأسبق ألقت الدكتورة درية شفيق محاضرة فى هذا الموضوع بدار نقابة الصحافة ، وقد استغرقت ساعة كاملة ، واستغرق المعقبون عليها ساعتين ! وحمى وطيس الجدال بين الطرفين حماسا بالغا .. ونلخص المحاضرة فيما يأتى : —

إننا اليوم فى مفترق الطرق ، فى ثورة جاءت لتحقيق العدالة التامة بين المواطنين ، وفى هـذا العهد الأغر تريد المرأة أن تأخذ مكانتها الملحوظة ، وتنال حقوقها الطبيعية فى المجتمع ...

وأرجو أن تسمحوا لى أن أرجع بكم قليلا إلى عهود الإسلام الأولى لتروا ما كانت عليه المرأة من شأن جليل الخطر ، فأنتم تعلمون أن « نسيبة » أم عمارة وقفت فى غزوة « أحد » تقاتل دون النبى صلى الله عليه وسلم غير حافلة بالسهام المسددة إليها والتى جرحتها اثنى عشر جرحا وفى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما التفت يميناً أو شمالا يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دونى » . وأنتم تعلمون أن ذات النطاقين « أسماء » عرضت نفسها للهلاك فى سبيل منجاة النبى وصاحبه من المشركين ، وأن السيدة « عائشة » كانت الزوجة المثقفة التى تروى الكثير من الأحاديث ، والتى نزل فيها الكثير من الآيات ..

كان هذا بعض شأن المرأة والدعوة الإسلامية فى مهدها ، وكان هذا من عوامل نجاح هذه الدعوة . وليس ذلك بدعا فى الإسلام ؛ فكل دعوة لا تنجح إلا إذا آزرتها المرأة المثقفة التى تعرف واجباتها وحقوقها .. وأعود بكم إلى المرأة المصرية اليوم وإنكم لأدرى الناس بما هى عليه من جهل مطبق بلغ ٩٠ ٪ من نساء مصر ، وإنكم لتعلمون خطر هـذا على كيان الأمة ، فالأم هى التى تقرر مصير الأمة إذ تلقن الطفل فى سنواته الأولى وقبل دخوله المدرسة المبادئ التى ترسخ فى ذهنه ، وهـذه السنوات الأولى — كما يقرر علماء النفس — هى التى تحدد عقل الإنسان طوال حياته ! وإنكم لتشاهدون كيف تعالج الأمهات فى مصر أبناءهن بالرقى والتمائم ! وإنكم لتشاهدون الأمهات اللائى يأبين أن يمس الماء أجسام أبنائهن العام كله خوف البرد والزكام ! وإنكم لترون النسبة الهائلة فى وفيات الأطفال التى هى معرة لمصر بين الأمم ! .. إن مرد ذلك كله إلى جهل الأمهات ، والنبى الكريم يقول « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » !

إن المرأة المصرية اليوم تطالب برفع كابوس الجهالة عنها ، تطالب بأن تكون كالرجل فى ذلك سواء بسواء ، فتخفف من أعبائه ، وتكون عاملا من عوامل ارتفاع المعيشة فى البلاد ، وتطالب — كما يطالب العالم كله — بإبطال دور « الحريم » وتحريرها منها ...

إن المرأة قد كسبت ميادين جديدة منذ قاسم أمين ، ولن تجلو عن هذه الميادين ، بل لن تهدأ حتى تضيف إليها ميادين جديدة . ألم تروا إلى أفلاطون وهو يطالب بأن يكون نصف جيش الدولة من النساء ؟ ألم تروا إلى النبى الكريم وهو يعتز برعاية أمه ويقول « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ؟

علي متولي صلاح

آراء وأنباء

فيجايا لاكشيمى باندت نهرو

للأستاذة زينب الحكيم

وردت القاهرة فى الأسبوع الماضى السيدة الهندية العظيمة فيجايا لاكشيمى باندت نهرو التى رأست وفد بلادها فى دورة هيئة الأمم الأخيرة، وقد مثلت بلادها بنجاح منقطع النظير، وكانت سفيرة للهند لدى الولايات المتحدة مدة طويلة، وكانت قبل ذلك وزيرة للصحة، والآن تعمل فى سلك السياسة الخارجية بمقدرة وفهم:

ولهذه السيدة مبدأ حساس، فهى داعية للسلام العالمى، مشجعة على بث روح الإنسانية، وتمنى رؤية الناس كطبيعة حية، أكثر من عنايتها بالمتاحف والآثار، شجاعة فى الحق، قادرة على تمحيص الأمور

تعلمت تعلما منظما، وأكسبتها بيئتها ونشأتها وكثرة تنقلاتها ثقافة واسعة، وهى ذات أناة وصبر، فكم شهدتها تصغى لشتى الأسئلة من الصحافيين وغيرهم، وتجاوب بدقة على ما تريد الإجابة عنه؛ فهى ممثلة سياسية بارعة، ومرشدة اجتماعية ممتازة. يشع سمو روحها على وجهها الحسن، وتدل جميع حركاتها وتصرفاتها على الدوحة العظيمة التى تفرعت منها

هبطت أرض مصر فهب كثير من أهلها يستقبلونها بما يليق بها من حفاوة وتكريم، وأجهدت نفسها بزيارة عدد وفير من مؤسساتنا الاجتماعية، كمدينة تحسين الصحة، وجمعية الهلال الأحمر، ومدرسة الاتحاد النسائى، كما اجتمع لفيف كبير من نساء القاهرة ورجالها فى حفل شاى أقيم على شرف تكريمها بنادى الزعيمة الراحلة هدى شعراوى؛ وألقت فيه كلمة أبانت فيها عن بعض العلاقات الدولية والمجهودات العظيمة التى بذلتها فى الدفاع عن قضايا بلادها وبلاد الشرق عامة، كما زارت جامعة القاهرة وألقت خطابا سياسيا شاملا. وزارت نقابة الصحفيين زيارة ود وشكر، وكان يزين الحفل وجود الرئيس اللواء محمد نجيب، وكان لكلماته أجمل وقع فى نفوس الجميع. وأهابت بالمصريات لزورن الهند ليشهدن مجهودات نسائه العملية، وليكن رسل سلام يقوين روح التعارف والتحاب بين البلدين

وتفضلت فصرحت بأن المرأة الهندية لم تصادف أى عناء بالنسبة لنيلها الحقوق السياسية، ذلك لأنها أثبتت جدارتها عمليا، لاستمتاعها بتلك الحقوق. ولهذا فقد حصلت عليها برضا تام من الرجال

وأكدت أنها وبنات جنسها مشاركات للمرأة المصرية رقيق عواطفها، معضدات لمطلبها العادل، ومشفقات كل الإشفاق من روح بعض المتطرفين بالنسبة لقضيتها. وإننا إذ نودع السيدة نهرو العظيمة نتمنى لها عودا حميدا لبلادها ونحملها أحسن تحياتنا لمواطنيها ومواطناتها جميعا

ملاحظة: فيجايا لاكشيمى = الاسم الأول باندت = اسم القبيلة أو السكت وهو البراهمى وهو من أعرق قبائل الهند وأرقاها ونهرو = اسم العائلة

رسالة المرأة فى العهد الجديد

المرأة هى الدعامة الأولى التى يتوقف عليها تقدم الأمة أو تأخرها، وسلاح الشعب أو فساده، وبفضل رعايتها الصحيحة للأسرة يستقيم حال الرجل أو ينحرف، وتصلح تربية النسل أو تفسد، ومن ثم يبين تأثيرها الحق فى الشعب وفى البيئة المحيطة به، والأمم التى تنبهت إلى خطورة مركز المرأة فى الدولة، جعلت فى رأس برامجها الإنشائية الإصلاحية مسألة العناية بتربية المرأة وتثقيفها حتى تأمن العثار، تلك المخلوقة العجيبة التى لا يقف فى سبيل إرادتها شئ (إن هى أرادت) أن تنفذ أمرا ما

ومن أجل هذا .. كانت المرأة المستنيرة من أول وأهم

عوامل الإصلاح والتقدم فى البلاد ، ومصر بحمد الله قد قطع نساؤها شوطا بعيدا سليما فى ميدانى التعليم والاجتماع ، وبذلت جهدا غير منكور فى ميدان السياسة

ومن واجب العهد الجديد أن يعتمد على المرأة المستنيرة فى الحدود السالفة الذكر فى سبيل نشر رسالته ، ومن واجبه أن ينقب عنها ، ويسعى إليها ، حتى يستطيع أن يكل إليها ترشيد أكبر عدد ممكن من بنات جنسها وأسرهن فى مقاصد وغايات العهد الجديد . ولاسيما وأن المرأة أسرع قابلية لفهم النهضة والجيل الجديد ، وأسرع إلى تنفيذ الخطط الإصلاحية الراهنة ، لأنها أقل من الرجل اندماجا وتأثرا بظروف العهد البائد وأكثر ما اشتمل عليه . وهى تعمل غير مغرضة ، فليست تطمع فى المناصب الحكومية ، ولا تنظر إلى المراكز الرفيعة ، ولا تشغلها الدرجات والترقيات بالصورة التى ينشغل بها الرجال . ولم تتأثر المرأة بطغيان الإقطاع كالرجال بحيث تقف موقف المعارضة والنضال ، ولهذا فهى أكثر استيمانا واستجابة لمبادئ العهد الجديد ، وأقوى تأثرا به ، وأشد رضاء عن نتائجه

فعلى المرأة أن تتقدم بدون إبطاء بعرض مساعداتها فى الفن أو التخصص الذى تحسنه ، ولا تنتظر التنقيب عنها ، فليس فى مقدور القيادة أن تشم على ظهر يدها كما يقول المثل السائر

وأن تبدأ حملة عملية على الكماليات ؛ فتتنازل عن كثير منها كالسيارات الفخمة والفراء النادرة ، والأحذية البالغ فى أثمانها وعددها ، والثياب اللافتة غير المملية

وعمنى آخر يجب على المرأة أن تتقشف ، ولا أود أن تسترجل ، وإنما تعتدل كثيرا فى مطالبها من كماليات الترف ، حتى تدفع التهمة الخطيرة التى طالما اتهمت بها ... وهى أنها أسيرة الموضات وعبدة المساحيق ووسائل التزين . وعليها منذ اليوم أن تشهد العالم أجمع على أنها بدأت عهد الجد والحزم والعزم فتستهلك منتجات بلادها أولا ، من منسوجات ومأكولات ومعادن ، ومنتجات صناعية . وأن لا تأنف من استعمالها مهما كانت درجة بساطتها وعدم جودتها — حتى نتقدم بها إلى أحسن الدرجات من الجودة والارتقاء

وأن تهجم هجوما عنيفا على الجهل والفقر والمرض

فيكون من واجب كل امرأة متعلمة سواء فى المعاهد أو فى المنازل ، أن تعلم عددا من الأميات فى أقصر وقت

وأن تبذل من اقتصادياتها (ولا أقل من نصاب الزكاة) لأوجه البر المنظم ، لتساعد على تحسين حال المعدمين لا بإقامة مطاعم الشعب التى عملنا على هدمها لما لمسناه من أنها تريق ماء وجوههم ، وحرصنا على تنبيه أولى الأمر فى حينه إلى خطورة رد الفعل السئ الذى تسببه أشباه هذه المشروعات المسكنة فقط والتى ليس من شأنها أن تنشئ أجيالا نشيطة مستكملة الرجولة ، وإنما تربى جيلا جبانا متواكلا تحلو له الراحة ويستهويه الكسل . لذلك كان لزاما أن توضع التبرعات والإعانات كرءوس أموال لإنشاء مصانع وعمارات وأعمال حرة تجارية أو زراعية وما إليها ، حتى ينتفع الموزون ويشعروا بأنهم يأكلون بعرق جبينهم ، وأنهم لايستجدون ، فالاستجداء مسقط للكرامة وللانسانية . وعلى كل سيدة قادرة على الإرشاد الصحى أن تبذل كل ما فى طاقتها لتأخذ بيد المريض ، وتساعده على اتباع طرق العلاج ، والنظافة ، وتشجعه على الالتجاء إلى المستشفيات والوحدات العلاجية

وأن يقمن من أنفسهن رقيبا أمينا على رعاية كل هذه الأوجه الإصلاحية لتأخذ بيد قادة العهد الجديد — عهد الإصلاح والإحسان فى تعاون واتحاد مع إخواننا الرجال .

زينب الحكيم

أخبار أدبية وعلمية

أسبقية الروس إلى اكتشاف سر تركيب المعادن

ادعت أكاديمية العلوم الروسية فى أوائل شهر أغسطس على لسان أحد أعضائها السابقين (د.س. ياكوبى) بأن الروس هم أول من اكتشف سر صناعة المعادن من السوائل بتسليط تيار كهربائى عليها، وهو اكتشاف أدى إلى ميلاد فرع جديد فى العلوم الطبيعية يطلق عليه اسم « جالفونوتكنولوجى »

وقد قام ياكوبى بتجاربه فى أواسط القرن المنصرم وتسربت أنباء هذه التجارب إلى العالم الخارجى فالتقطها عالم بريطانى واحتفظ لنفسه بحق اكتشافها زورا وبهتانا

وقالت أكاديمية العلوم إن آثار « ياكوبى » فى طلاء كنيسة القديس إسحق بطرسبرغ بالذهب السائل المتولد عن تيارات كهربائية مسلطة عليه هو شاهد على على أسبقية هذا العالم فى اكتشاف سر هذا النوع الجديد فى العلوم الطبيعية

الفشل يصاحب الباحثين عن سفينة نوح

أعلنت البعثة العلمية الفرنسية التى تقوم بالبحث عن آثار سفينة نوح فى جبل أوراراط من الشمال الشرقى من تركيا عن فشلها بعد جهد استمر بضعة أشهر . فقد عجز رجال البعثة وهم من علماء التنقيب عن الآثار عن الصعود إلى قمة (اتريداك) فى أعالى جبل أوراراط وهى قمة يبلغ ارتفاعها ١٧ ألف قدم مغطاة بالثلوج الكثيفة . وتدعى مصادر علم الآثار وبعض المصادر التاريخية أن هذه القمة هى التى ألقت عليها سفينة نوح مرساها فى فترة الطوفان الذى أشار إليه القرآن الكريم

وقد سبق لبعثة أمريكية أن فشلت فى مثل هذه المحاولة لتى قامت بها فى صيف عام ١٩٤٩

تخليد ذكرى الشاعر الروسى بوشكين

احتفلت روسيا فى هذا الشهر بذكرى انقضاء مائة وثلاث وخمسين سنة على ميلاد الشاعر الكبير الكسندر بوشكين فأزاحت الحكومة السوفيتية الستار عن لوحات تذكارية ، وتماثيل من النحاس والمرمر أقيمت فى عدد من الأماكن التى أقام الشاعر فيها وعمل إبان حياته الذاخرة بالإنتاج الرفيع

والمعروف عن بوشكين أنه كان مغرما بمدينة موسكو إغراما لاحد له . فقد ولد فى هذه المدينة وأنفق صباه وشيد بيته فيها وظل يعود إليها بين آونة وأخرى ليستوحى من حياتها اليومية صورا فنية لقصائده الشهيرة

وقد وضعت إحدى هذه اللوحات التذكارية فى بيت متواضع لا تأخذه العين فى وسط مدينة موسكو يطلق عليه اسم « بيت الشعراء » . فقد كان هذا البيت مسكنا لناقد أدبى معروف اسمه (أ. فايازمسكى) آخاه بوشكين وتوطدت بين الشاعر والناقد صداقة ندر أن تسود بين الشعراء والنقاد

وكان بوشكين يتردد بكثرة على هذه الدار فى أعوام ١٨٢٦ — ١٨٣٢ . وفى هذه الدار تعارف بوشكين والشاعر البولندى الشهير (ادام ميكيفيتش) الذى تأثر بعبقريته وتأثر هو بعبقرية الشاعر الروسى

وأقيمت لوحات وتماثيل تذكارية أخرى فى عدد من الفنادق والمطاعم وأماكن النزهة التى كان يفضلها بوشكين خلال إقامته فى موسكو وإبان زيارته العديدة لها فى سنواته الأخيرة

رداءة الموسم المسرحى الروسى هذا العام

يبدو أن موسم المسرح الروسى هذه السنة كان رديئا إلى درجة لم تستطع الحكومة السوفيتية أن تختار مسرحية من مسرحيات الموسم لتمنحها جائزة ستالين الأدبية التى تعطى كل سنة للمبرزين فى شتى ألوان النشاط الثقافى والعلمى

وقد أصدرت لجنة الكتاب التابعين للحزب الشيوعى الروسى الذى يسيطر على الحكم الآن فى الاتحاد السوفيتى

بيانا انتقدت فيه رداءة الإنتاج المسرحي هذا العام ؛ ووصفت المسرحيات الجديدة التي صدرت هذا العام بأنها « من النمط التقليدي وبأنها خالية من الواقعية » التي أصبحت في رواسب السوفييتية ميزانا للابداع الفني والأدبي

ونشرت جريدة برافدا في صفحتها الأدبية نقدا مماثلا لنقد لجنة الكتاب المتفرعة عن الحزب الشيوعي . وحللت « برافدا » القيمة الأدبية لمسرحية « الصيف الجميل » أكثر مسرحيات الموسم في موسكو رواجا ، فلم تجد الجريدة فيها ما يستحق أن يحظى بالشرف الذي توفره جوائز ستالين الأدبية

وقد انتقدت الجريدة كذلك الكسل الذي اعترى كتاب المسرحيات في الآونة الأخيرة وناشدتهم بأن يسعوا في جد وحماس لرفع مستوى الإنتاج المسرحي الروسي ليتفق مع مكانة الفروع الأخرى للنشاط العلمي والأدبي في حاضر الثقافة السوفييتية

طبعة جديدة للموسوعة الروسية

أتم البرفسور بوريس فيدنسكي المحرر الرئيسي لدائرة المعارف الروسية إعداد الطبعة الجديدة لهذه الموسوعة الهامة التي تزهو بها الأوساط الأدبية والعلمية في الاتحاد السوفييتي

وقد أنجز حتى الآن المجلد الثامن من الطبعة الجديدة إنجازا تاما وظهر في الأسواق . وفي هذا المجلد وحده ١٢٥٠ مقالة وبحث عن مختلف الموضوعات التي تتضمنها عادة الموسوعات التي من هذا القبيل

ويمتاز هذا المجلد الثامن بأنه يحوي بحوثا جديدة في الفنون العلمية ذات الصلة بالشؤون العسكرية

الأدب في خدمة الشيوعية في الصين

أنفذت الحكومة الشيوعية في الصين حملة جديدة لتنسيق الأدب والفن الصيني لخدمة المبادئ الماركسية التي اتخذها حكام الصين نبراسا لهم

وقد أطلقت على هذه الحملة اسم « حركة تعديل الآداب والفنون » ويرأسها الكاتب الصيني المعروف (كو.مورجو) مؤلف كتاب (صبي وبكشاو) وهو من روائع الأدب الشيوعي في الصين الجديدة

وتهدف هذه الحركة إلى تطعيم أرباب القلم والفنانين الصينيين بدقائق الماركسية لينقلوها إلى الشعب في مختلف المعاول التي يوفرها الأدب والفن

ترجمة نصوص الهرم

ظهر بحث هام جديد من دراسات أهرام الجيزة ، بصدور مؤلف كتبه العلامة صمويل ا.ب مرسر ، وهو يقع في أربعة مجلدات وأسماه « ترجمة نصوص الهرم » والتعليق عليها

وهذا المؤلف هو أول ترجمة إنجليزية كاملة للنصوص الدينية التي اكتشفت في عام ١٨٨٠ وهو أيضا الترجمة الكاملة الوحيدة وشرحها في أية لغة من اللغات

والترجمة صحيحة وعصرية وشرح النصوص مبني على مراجع معتمدة ، وهو شرح شامل يعين على فهمها ، ويعد هذا المؤلف لأول مرة المرجع الذي يجد فيه المشتغلون بالدراسات الدينية مجموعة كاملة من الوثائق المصرية القديمة التي يستطيعون الاعتماد عليها في أبحاثهم

والمجلد الرابع من الكتاب يتناول ثمانيا وعشرين رحلة قام بها الأستاذ مرسر وستة من علماء الآثار المصريين ومجموعة نقية من العبارات والكلمات التي يحتاج فهمها إلى تفسير وفهارس ذات قيمة علمية وتاريخية

سويسرا تحتفل بأديبها الأكبر

يحتفل الشعب السويسري هذا العام بعيد الميلاد الخامس والثمانين لعميد الأدب السويسري المعاصر والقصصي المعروف : أرنست زاهن « Ernest Zahn » فقد ولد هذا الأديب الكبير في مدينة « ماجن » السويسرية عام ١٨٦٧ . واشتغل بالأدب فأنتج أكثر من ٦٠ مؤلفا

كان أكثرها رواجا قصصه البديعة التى درت عليه مكافآت مادية وأدبية فنال عددا من أهم الجوائز الأدبية السويسرية والأوربية ومنحته بعض الجامعات شهاداتها الفخرية اعترافا بمساهمته فى إعداد نشأة الأدب السويسرى المعاصر

وقد أعدت الحكومة السويسرية والمحافل الشعبية فى مختلف أنحاء البلاد برامج منوعة للتنويه بالجهود الأدبى الذى خلده هذا الشيخ الأديب

القومية « اللغوية » فى النمسا

أصدرت المطبعة الحكومية الرسمية فى فينا معجما جديدا يسجل مفردات اللغة « النمساوية » ويحاول أن يجعل منها لغة خاصة مستقلة عن اللغة الألمانية

وهذه القومية « اللغوية » التى تعمل على نشرها الحكومة النمساوية هى وليدة التعددات السياسية التى ألمت بأوربا الوسطى فى عالم ما بعد الحرب بعد أن نال النمسا وبقية دول أوربا الوسطى ما نالها من ذيول الحرب النازية مشاكل سياسية واقتصادية عويصة

والمعروف أن لغة النمسا هى الألمانية ولكن هناك لهجات محلية نمساوية (كما هو الحال فى جميع المناطق الجغرافية التى تتكلم لغة من اللغات العالمية) أحب أولو الأمر فى النمسا أن يعززوها ويجعلوها نواة للغة « نمساوية » مستقلة عن اللغة الألمانية

ويبلغ عدد كلمات المعجم النمساوى الجديد ٢٠ ألف كلمة وقد عم انتشاره فى الأوساط العلمية والشعبية

طرائف وقصص

ليلة عيد الميلاد

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ حسن نديم

كتب إلى الجنرال برامبل يدعونى إلى قضاء عطلة عيد الميلاد فى قريته وأردف يقول : إننى لم أدع هذا العام سوى اللورد تيلوك شقيق زوجتى والسيدة قرينته ، ولا أحسب السامر سيكون بهيجا بالقدر الذى تنشده فأسألك المعذرة . وعلى كل حال إذا كنت لاتبرم بحياة العزلة ولا تخشى شتاء إنجلترا فتفضل بالمجيء وسيسعدنا لقاؤك والترحيب بك والتحدث معا عن الأيام الخوالى وطيبها .

كنت أعلم أن هؤلاء الأصدقاء قد رزئوا فى غضون العام الماضى بفقد ابنة لهم فى الربيع الثامن عشر ماتت على إثر سقطتها من صهوة جواد أثناء الصيد فرثيت لحالهم وتأثرت لمصابهم. ولما كنت تواقا الى رؤيتهم لأواسيهم وأسرى عنهم فقد قبلت الدعوة .

شعرت بادئ الأمر بالهيبة من اللورد تيلوك وزوجته؛ غير أننى سرعان ما أنست إلى صحبتهما عندما عرفتهما . كان فى مقدور مضيفى الجنرال برامبل أن يظل صامتا مدة ثلاث ساعات لايفوه خلالها بكلمة واحدة وهو جالس يدخن غليونه على مقربة من نار المدفأة وكذلك كانت حال زوجته تجلس فى صمت وهدوء تعمل أو تطرز . أما اللورد تيلوك فهو ثرثار لطيف ، عمل سفيرا لبلاده فى عدة أقطار ويدل حديثه على أنه شاهد حقيقة تلك الأقطار على غير ما أثر عن أنداده من السفراء ، وكانت زوجته على دمامة خلقتها تفيض ظرفا وخفة وإن ارتدت من الثياب أرخصها مما لايتفق ومكانتها فى المجتمع .

لقد خلف الدمع والأسى آثاره واضحة على وجه السيدة برامبل غير أنها لم تحدثنى عن فجيعتها ومصابها ، اللهم إلا فى أول مساء عندما صعدت برفقتها إلى جناح النوم فقد توقفت لحظة أمام الحجرة السابقة لغرفتى وقالت لى : كانت هذه غرفتها ... ثم استدارت ومضت فى سبيلها .

قضينا سهرة عيد الميلاد فى قاعة المكتبة على مقربة من مدفأة تندلع منها ألسنة اللهب . لم يكن يضئ تلك القاعة سوى عدد من الشموع ، فكان المرء يلمح فى ضوء القمر خلال زجاج النافذة منظر الحديقة وقد ابيض أديمها وغطتها الثلوج . كان الجنرال برامبل يدخن غليونه وزوجه تعمل بإبرها عندما بدأ اللورد تيلوك يتحدث عن ليلة عيد الميلاد .

قال اللورد : منذ خمسين عاما كان كثير من فلاحى مقاطعتى يعتقدون أن الحيوانات ينطلق لسانها فى ليلة الميلاد فتنطق كالبشر سواء بسواء . وأذكر أننى سمعت مرضعتى تقص حكاية عن حارس مزرعة كان يأبى أن يصدق هذه الخرافة . اختبأ هذا الحارس داخل حظيرة الخيول فى تلك الليلة ليتحقق من صحة الأسطورة، حتى إذا مادقت الأجراس مؤذنة بانتصاف الليل رأى الحارس أحد الجياد يميل برأسه على رفيقه ويقول له : سنساق إلى مهمة شاقة بعد ثمانية أيام. فيجيبه الآخر : نعم ولا تنس أن الحارس ثقيل الوزن فيعقب الجواد الأول : حقا إنه ثقيل الوزن والطريق إلى المقابر وعر . ومات حارس المزرعة بعد ثمانية أيام ! قال الجنرال برامبل : إن هذا لعمرى هراء . وهل كانت مرضعتك تعرف حقا هذا الرجل ؟

فأجاب اللورد تيلوك : إنها تعرفه حق المعرفة ياسيدى وحسبك أن تعلم أنه أخوها .

لبث محدثنا صامتا زمنا وأخذت أتأمل ألسنة اللهب المندلعة وهى تزمزم فى الأتون كما تدوى الأعلام فى مهب العاصفة . لم يبد الجنرال حراكا أما زوجه فكانت تطرز خطوطا بارزة ذات ألوان زاهية على قطعة من القماش . ثم

استأنف اللورد حديثه قائلا :

وفى السويد كثيرا ما رأيت الفلاحين فى قرية «داليكارلى» يعدون العشاء للأرواح فى ليلة عيد الميلاد ، إذ يعتقدون هنالك أن الموتى يعودون فى تلك الليلة إلى الدور التى كانت مسرحا لحياتهم . ولهذا يشعل أهل القرية مساء قبل أن يفترقوا نارا كبيرة من لهب الشموع اللدنة ويضعون على المائدة غطاء ناصع البياض وينظفون المقاعد ثم يخلون المكان للأطياف حتى إذا ماتنفس صبح اليوم التالى وجد القوم أن شيئا من الوحل قد تناثر على الأرض وأن الآنية والأكواب قد تحركت من أماكنها وأن الجو يعبق برائحة غريبة .

فقال الجنرال بصوت خفيض : وذلك أيضا لغو وهراء

أيقنت عند ذاك أن محدثنا يفتقر إلى الكياسة والفطنة وتأملت السيدة رامبل فإذا هى ساكنة وادعة ؛ بيد أنى رأيت أن أغير موضوع الحديث فقلت : أما أنا فأرى فى ليلة عيد الميلاد نفس ما رآه واعتقده شكسبير .. أتذكرون ما قاله فى هذا الصدد ؟

« ليلة لا تجرؤ الأرواح فيها أن تعصف فى الفضاء . الجن مكتوف اليدين ، والساحرة لا ينفع لها سحر ، والليل ساج لا يغشاه أنين ولا شكوى »

فقالت الليدى تيلوك فى لهجة ملؤها الجد والإصرار : أما نحن فنعتقد أن شكسبير قد خانه الصواب فيما ذهب إليه . هل لك يا عزيزى إدوار أن تقص علينا ذلك الحادث الذى وقع لك فى قصر تيلوك ؟

فهتفت قائلا : يسعدنى جدا أن أستمع إلى هذه المغامرة

حسنا — قال اللورد تيلوك — منذ خمسة أعوام كاملات أى فى ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٢٠ أحسست بصداع خفيف . ولما كان الجو جميلا يغشى برودته جفاف فقد رغبت فى السير قليلا فى الهواء الطلق . كان الليل قد انتصف أو كاد عندما غادرت منزلى ومشيت بضع خطوات حتى إذا ما جاوزت سور المتنزه سلكت الدرب الصغير الذى يحف به من على الجانبين سياج من الحسك الطويل ، وكان يضيئه فى تلك الليلة بدر مكتمل وسماء وشتها النجوم . كنت قد قطعت فى سيرى مسافة تبلغ نصف ميل عندما لمحت على بعد فوق الصقيع الأبيض آثارا قاتمة عبر الدرب . اقتربت من هذه الآثار فرأيت لفرط دهشتى أنها خيط دماء . طفقت أبحث عن مصدر هذا السيل الرفيع فوجدت أن السياج الحسكى ينحرف فى هذا الموضع فينثنى مع الدرب زاوية .. وأن جسدا مستلقيا دون حراك قد قبع فى ركن الزاوية

اقتربت من المكان وحدقت النظر فيه فإذا بى أمام جثة قتيل فعدت أدراجى راكضا إلى الدار وناديت خدمى . أرسلت بعضهم لإخطار السلطات وأمرت الآخرين أن يحملوا مشاعلهم ويتبعونى . سلكنا نفس الدرب الذى أتيت منه ومشينا مدة طويلة بل خيل إلى أنها طويلة جدا . ولكننا لم نر شيئا وانبريت أبحث عن الأثر الدامى دون جدوى . وأخيرا وبعد ما قطعنا ميلين على الأقل قلت لمن حولى : هذا لعمرى مستحيل ، فلم أبتعد بهذا القدر ولا بد أننا تخطينا المكان فلنعد

ذرعنا الدرب مرة ثانية وقلت لمن معى إنه ليس من العسير عليهم أن يهتدوا إلى المكان . فهو فى البقعة التى ينحرف فيها السياج وينثنى مع الدرب زاوية . غير أن أحدا من الخدم لم يتذكر أنه رأى الموضع الذى وصفته . وسرنا حذاء السياج من جديد وانطلقنا إلى أبعد ما استطعنا أن ننطلق فوجدنا السياج مستقيما لا انحراف فيه

وأمسك اللورد تيلوك عن الكلام لحظة . كانت الثلوج تتساقط فى الخارج وئيدا ، وكنا لا نسمع فى جوف هذا السكون الموحش سوى خشخشة الخيوط الحريرية فى قطعة القماش وزفرة النيران المستعرة فى المدفأة

سألت محدثى : ربما كنت إذ ذاك واقعا تحت تأثير نوبة من الهلوسة ؟!

استدار الجنرال رامبل نحوى وحدق فى طويلا وإن ظل ساكنا لا ينبس ببنت شفة ، وقال اللورد تيلوك وكأنما يرد على استفسارى : لقد لبثت بالفعل طويلا وأنا أعتقد

ما تقول ، فقد استجوبت العسس والسارة والجيران ولم أتوصل إلى شئ ، فلم ترتكب أية جريمة فى تلك الليلة فى طريق قصرى ولم يحدث فى هـذه النقطة ما يكدر الصفو . وبعد انقضاء أربعة أعوام على هذا الحادث ، وكنت قد سلمت بأن لوثة من الملوسة قد أتلفت حواسى فى تلك الليلة فتهيأت لى هـذه الجريمة ، جاءنى خطاب من صديق لى يتهن التنقيب عن الآثار ويُعنى بدراستها ، لقد سررت بهذا الخطاب أيما سرور وإليكم ما جاء فيه :

عزيزى اللورد تيلوك

بينما كنت أجرى أبحاثى هـذا الصباح فى التحف البريطانى تكشفت لى حقيقة هامة تتصل بقصة غريبـة كنت قد رويتها لى فى آخر عطلة أسبوعية سمدت بقضائها فى ضيعتك . كنت أتصفح بعض الصحف المحلية القديمة التى كانت تصدر فى مقاطعتك لاستيفاء بعض الأبحاث فقرأت الخبر التالى :

« فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٢٠ وعلى بعدمسافة يادرة من قصر آل تيلوك اغتال بعض قطاع الطرق السير جون لامى من وجهاء الكاثوليك بينما كان يسير بمفرده لحضور قداس نصف الليل . كان هؤلاء الأشقياء يتربصون بالمارة مختبئين خلف السياج الذى ينحرف فى عـدة مواضع فيحدث مع الدرب زوايا ، وهنالك أيضـا أخفوا الجثة بعد ما جردوا صاحبها مما كان يحمل من نقود . وعلى أثر هذا الحادث أمر سيد المقاطعة بإزالة هذه الزوايا ، ومن هذا التاريخ أصبح السياج الذى يحاذى الدرب مستقيما لا التواء فيه »

قالت الليدى تيلوك : آه لو كنتم معى ورأيتم آيات الفوز والابتهاج مرتسمة على وجـه إدوار وهو يتلو على هذا الخطاب

فأجاب الجنرال رامبل فى جد ووقار : هذا جد مفهوم وأمنت زوجه بصدق على عبارته

حدقت فيهم حينا فى دهش وقلت :

— لماذا ؟ أتعتقدون أن الميت قد بعث فى مكان الحادث لمناسبة الذكرى المئوية لمصرعه ؟

فأجابنى اللورد فى قلق وضجر : وهل تعتقد يا صاح بغير ذلك ؟

نظر إلى الجنرال رامبل وزوجه نظرة كلها استنكار ولوم ، فسكت على مضض ، وأيقنت أن قصتى الجواد الناطق وغذاء الأطياف لا بد قد وجدتا من هـذه العقول الساذجة تصديقا واقتناعا . فنهضت واستأذنت فى الذهاب إلى المخدع

كانت بغرفتى مدفأة موقدة تضطرم فيها نار وقودها خشب الصنوبر أشبعت جو المخـدع بدخان شفاف بينما اكتست النوافذ من الخارج بطبقة من الثلج الرخو كندوف القطن . أطفأت شموع الغرفة ، فصارت ألسنة اللهب المتراقص فى المدفأة تشيع وحدها الحرارة فى ضباب دافئ وضئ ، وشعرت بقيظ لم أستطع معه النعاس ، وأخـذت تجول بخاطرى قصص غريبة . وبعد هنيهة ، سمعت فى الغرفة المجاورة دقات ساعة صداحة تعلن انتصاف الليل . كنت متعبا مضطرب الأعصاب بعض الشئ .. غير أنى شعرت فى الوقت ذاته بارتياح إلى ما أصابنى من أرق .. وأحسست كأنما حلت بغرفتى روح وادعة تنفث فيها جوا من العذوبة والصفاء . سمعت الصداحة تدق جميع ساعات الليل إلى أن بانت تباشير الفجر فنمت

نزلت فى الصباح لتناول الإفطار متأخرا بعض الوقت فسألتنى السيدة رامبل — وهى واقفة أمام المائدة الزاخرة بألوان الطعام فى قاعة المآدب — كيف قضيت ليلتى

— إن شئت الصراحة يا سيدتى أخبرك بأنى نمت من الليل أقله ، غير أن السهاد لم يضرنى فى شئ ، فقد كان لى من رنين ساعتكم الصداحة خير رفيق أنيس

فانتفض الجنرال بغتة وقال : ماذا ؟ أتقول إنك سمعت دقات الساعة ؟

ثم صاح بحدة فى زوجته : هل فهمت يا إديت ؟

أجبت الجنرال بالإيجاب وأنا دهش من هذه اللهجة

المنيفة التي نطق بها عبارته الأخيرة وكانت أطول عبارة سمعتها تخرج من فيه . وعندئذ حدقت في السيدة برامبل وقالت في تأثر عميق وعيناها مغرورقتان بالدمع : يجدر بي يا سيدي أن أوضح لك حليـة الأمر . هناك في الحجرة المجاورة لمخدعك ساعة صداحة أهديت إلى ابنتي وهي طفلة فكانت تحبها كثيرا وتملؤها بنفسها كل ليلة . ومنـذ قضت عزيزتنا لم يمسها أحد ، وآلينا على أنفسنا ألا يمسها أحد ، وكنا نظن أن تنم تلك الساعة قد سكن إلى الأبد غير أن ليلة الأمس كانت — كما ترى يا سيدي العزيز — ليلة عيد الميلاد

حسن نديم